من أسرار التذييل في محكم التنزيل

سورة الملك أنموذجا

Reasons for gratitude and methods of directing it in the Holy Qur'an
Objective study

إعداد

د/ حسن أحمد حسن خفاجي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد

بكلية أصول الدين بطنطا

من أسرار التذييل في محكم التنزيل–سورة الملك أنموذجا

حسن أحمد حسن خفاجي

قسم التفسير وعلوم القرآن – كلية أصول الدين – طنطا – جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : Hassankhafagy@azhar.edu.eg

الملخص :

هذا البحث يبين: إثراء المعنى القرآني من خلال أسلوب التذييل في القرآن الذي يجذب القلوب، ويبهر العقول، ويحير الفهوم،؛ لإتمامه المعنى في قراراه ومكانه، ولو استبدل به غيره لتبدل المعنى ولما تحقق المقصود، فهو من أبلغ المطالب، وأسنى المقاصد والمآرب التي تبين تماسك النص القرآني، وإحكام بنائه، وتناسب أجزائه؛ وتبرز حسنه وجماله، وجلاله وكماله.

وقد تناولت التذييل في سورة أوصى النبي ﷺ بقراءتها ألا وهي سورة الملك؛ فلم يتناول أسرار تذييلها أحد من قبل، وانتهيت في ختام هذا البحث إلى عدة نتائج منها :

❁ إسهام تذييل السورة في تحقيق أغراض ومقاصد سورة الملك

❁ مكانة التذييل القرآني في إتمام المعني ، فقد يأتي التذييل القرآني مؤكداً لما قبله أو مقرراً له أو معللاً له ؛ فيرتبط بما قبله ارتباطا وثيقا

❁ التذييل قد يكون آخر آية وقد يكون في ثناياها وقد يكون آية برأسها، وربما احتوت الآية الواحدة على أكثر من جملة تذييلية

❁ مقصد التذييل إيصال المعنى والتأكيد على المراد وأكثر أغراضه التأكيد والتحقيق

❁ تناسب التذييل للمعاني المتقدمة يؤكد اتساق السابق باللاحق وذلك مظهر من مظاهر إعجاز القرآن الكريم

❁ التذييل يثري التأمل والتدبر فالنظرة الواحدة غير كافية ولا توقف المتأمل على الأسرار الكامنة .

الكلمات المفتاحية: التذييل ، أسرار ، الملك ، إعجاز ، القرآن ، التنزيل

One of the secrets of the appendix in the decisive revelation - Surat Al-Mulk as an example

Hassan Ahmed Hassan Khafaji
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences - Faculty of Fundamentals of Religion - Tanta - Arab Republic of Egypt
Email: Hassankhafagy@azhar.edu.eg

Abstract:

This research shows: enriching the meaning of the Qur'an through the style of appendix in the Qur'an that attracts hearts, dazzles minds, and confuses understanding. Because it completes the meaning in its decision and place, even if it was replaced with something else, the meaning would be changed and the purpose would not be achieved. It is one of the most eloquent demands, and the best intentions and goals that demonstrate the coherence of the Qur'anic text, the precision of its construction, and the proportionality of its parts. It highlights his beauty, beauty, majesty and perfection.

The appendix discussed a surah that the Prophet, may God bless him and grant him peace, recommended reading, which is Surah Al-Mulk. No one has dealt with the secrets of an appendix before, and at the conclusion of this research I reached several results, including:

 The contribution of the appendix to the surah in achieving the purposes and objectives of Surat Al-Mulk

 The position of the Qur'anic appendix in completing the meaning. The Qur'anic appendix may confirm what came before it, confirm it, or justify it. It is closely related to what came before it

 The appendix may be the last verse, or it may be in its folds, or it may be a verse at the head, and a single verse may contain more than one appendix sentence.

 The purpose of the appendix is to convey the meaning and emphasize what is intended, and most of its purposes are to confirm and verify

The appendix's proportionality to the meanings mentioned above confirms the consistency of the preceding with the subsequent, and this is a manifestation of the miraculous nature of the Holy Qur'an.

 The appendix enriches contemplation and contemplation, as one glance is not sufficient and does not stop the meditator from discovering the hidden secrets.

Keywords: Appendix , Secrets , The King , Miracles , The Qur'an , The Revelation

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيرا، ورقاه في مراتب البلاغة إلى مقام لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لم يقدروا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله للعالمين شاهدا ومبشرا ونذيرا، صل اللهم وسلم وبارك عليه وعلى وآله وصحبه، وسلم تسليما كثيرا. وبعد ،

فإن كتاب الله احتوى على معان كثيرة الشعوب متدانية الجنوب؛ فيها من شتى الفنون أدقها وأسناها، ومن قواعد العلوم أقواها وأعلاها، جمعت وجوه الإعجاز، وعبارة الإيجاز بجمل آنيقة وإشارات دقيقة وعبارات رشيقة يتحير فيها أولو الألباب وكأنها سحر عجاب .

فالقارئ المتدبر لكتاب الله تعالى يلحظ ثراء القرآن الكريم بأسلوب التذييل بما يجذب القلوب، ويبهر العقول، ويحير الفهوم، ويستقطب الجمهور؛ لإتمامه المعنى مستقراً في قراراه، مطمئنا في مكانه، ولو استبدل به غيره لتبدل المعنى ولما تحقق المقصود، فهو من أبلغ المطالب، وأسنى المقاصد والمآرب التي تبين تماسك النص القرآني، وإحكام بنائه، وتناسب أجزائه؛ وتبرز حسنه وجماله، وجلاله وكماله.

وقد كثرت الدراسات حول الجملة القرآنية من حيث دلالتها وتراكيبها؛ ولم يفرد بحث حول تذييل سورة الملك؛ فأردت التوقف مع لطائف التذييل المكنونة وأسراره المصونة؛ لكشف الدقائق وبيان الحقائق من خلال هذا البحث / من أسرار التذييل في محكم التنزيل –سورة الملك أنموذجا.

أسباب اختيار الموضوع :

١ – بيان مكانة التذييل القرآني في إتمام المعنى .

٢ – إظهار اتساق ختام المعنى ومناسبته لما سبقه من آيات .

٣ – الكشف عن دقائق النظم القرآني من خلال التذييل الوارد في سورة الملك .

منهج البحث

سلكت المناهج العلمية المناسبة لمقتضى البحث من المنهج الاستقرائي الناقص والتحليلي والاستنباطي والنقدي، وسأقتصر على بعض الأمثلة التي نص عليها أحد المفسرين.

خطة البحث:

يتكون البحث من : مقدمة ، وتمهيد، ومبحثين ، وخاتمة .

المقدمة وتشتمل على :

أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وخطة البحث ومنهجه

والتمهيد : وفيه التعريف بسورة الملك

المبحث الأول : التعريف بالتذييل.

ويشتمل على أربعة مطالب :

المطلب الأولى : تعريف التذييل .

المطلب الثاني : أنواع التذييل في القرآن الكريم.

المطلب الثالث: مواضع التذييل في القرآن الكريم.

المطلب الرابع : مكانة التذييل وأهميته.

المبحث الثاني : من أسرار التذييل في سورة الملك .

ويشتمل على تسعة مطالب :

المطلب الأول : سر التذييل بقوله ﴿ **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴾.

المطلب الثاني: سر التذييل بقوله﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ**﴾.

المطلب الثالث: سر التذييل بقوله ﴿ **ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ** ﴾.

المطلب الرابع : سر التذييل بقوله﴿ **لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾.

المطلب الخامس: سر التذييل بقوله﴿**إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾.

المطلب السادس : سر التذييل بقوله﴿**وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾.

المطلب السابع : سر التذييل بقوله﴿ **وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾.

المطلب الثامن : سر التذييل بقوله﴿ **إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ** ﴾.

المطلب التاسع : سر التذييل بقوله﴿ **عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾.

ثم الخاتمة – أسأل الله حسنها – متضمنة أهم النتائج .

فالله أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

﴿ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ﴾ الممتحنة: ٤

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ هود: ٨٨

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وَصلِّ اللَّهُمَّ عَلَى سَيِّدِنَا محمد وَعَلَى آلِهِ وَصحبه وَسلِّم

التمهيد
التعريف بسورة الملك

●**وتشتمل على:**

- ✓ **أولا:** أسماء السورة وسبب تسميتها .
- ✓ **ثانيا:** نزولها وعدد آيها وكلماتها وحروفها .
- ✓ **ثالثا:** فضلها وشرفها.
- ✓ **رابعا:** مقصود السورة .

التعريف بسورة الملك

سورة الملك من سور القرآن التي أوصى بها النبي ﷺ بقراءتها في كل ليلة؛ لأنها حافلة بألوان المواعظ والتذكير، والتأمل والتدبر والتفكير في رحاب الخلق والكون، للوصول إلى الإيمان بالله و بيان عظمته وقدرته.

أولا : أسماء السورة وسبب تسميتها

سورة الملك من السور ذات الأسماء المتعددة، وكثرة الأسماء تدل على شرف المسمى، وبمطالعة كتب التفسير وقفت على أحد عشر اسما، منها ستة أسماء توقيفية، وخمسة اجتهادية وهي :

الأسماء التوقيفية:

الأول : سورة الملك

اشتهرت السورة الكريمة بسورة الملك في أكثر المصاحف وكتب التفسير .

فعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: « يُؤْتَى الرَّجُلُ فِي قَبْرِهِ فَتُؤْتَى رِجْلَاهُ فَتَقُولُ رِجْلَاهُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ كَانَ يَقُومُ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى مِنْ قِبَلِ صَدْرِهِ أَوْ قَالَ بَطْنِهِ، فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ كَانَ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ الْمُلْكِ، ثُمَّ يُؤْتَى رَأْسُهُ فَيَقُولُ: لَيْسَ لَكُمْ عَلَى مَا قِبَلِي سَبِيلٌ كَانَ يَقْرَأُ بِي سُورَةَ الْمُلْكِ، قَالَ: فَهِيَ الْمَانِعَةُ تَمْنَعُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَهِيَ فِي التَّوْرَاةِ سُورَةُ الْمُلْكِ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطْنَبَ»[1] .

---

(١) – **ينظر**: أخرجه الحاكم في المستدرك ٥٤٠/٢ ، كتاب التفسير ، باب تفسير سورة الملك ، حديث:٣٨٣٩، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م ، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وعلق الذهبي عليه بقوله : صحيح، والطبراني في المعجم الكبير ١٣١/٩ ، حديث ٨٦٥٠ ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية، وذكره السيوطي في الدر المنثور في =

ويلاحظ أن لها حكم المرفوع؛ لأن الوارد من الغيبيات التي لا سبيل لمعرفتها إلا بالوحي .

ووجه تسميتها بالملك: لاشتمالها على كثير مما ينبغي أن يكون عليه الملك من كثرة الخيرات وعموم القدرة، والإحياء والإماتة، واختبار أعمال الناس، والغلبة والغفران ...[1] .

الثاني : سورة تبارك

اشتهرت أيضا بسورة تبارك، وقد أخذ هذا الاسم بما جاء عن النبي ﷺ من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ» [2] .

ووجه تسميتها بتبارك: لافتتاحها بهذا اللفظ القرآني، ولم تنفرد بهذا اللفظ بل افتتحت سورة الفرقان به؛ ولكن غلب على سورة الملك .

الثالث : سورة تبارك الملك

سميت بسورة «تبارك الملك» بمجموع الكلمتين في عهد النبي صلى

=

التفسير بالمأثور ٦٠١/١٤ ، طبعة دار هجر – القاهرة ١٤٢٤ هـ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة وفيه ضعف، وبقية رجاله رجال الصحيح. ١٢٨/٧ ، مكتبة القدسي، القاهرة، طبعة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م .

(١) – **ينظر**: تفسير محاسن التأويل للقاسمي ٢٨٤/٩ ، دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

(٢) – أخرجه الطبراني في الأوسط ٧٦/٤ حديث : ٣٦٥٤، دار الحرمين – القاهرة، قال الحاكم في المستدرك/٧٥٣: هذا حديث صحيح الإسناد. وذكره الهيثمي في المجمع١٢٧/٧: رواه الطبراني في الصغير والأوسط، ورجاله رجال الصحيح.

الله عليه وسلم

فعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ضَرَبَ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خِبَاءَهُ عَلَى قَبْرٍ وَهُوَ لَا يَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ المُلْكُ حَتَّى خَتَمَهَا، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي ضَرَبْتُ خِبَائِي عَلَى قَبْرٍ وَأَنَا لَا أَحْسِبُ أَنَّهُ قَبْرٌ، فَإِذَا فِيهِ إِنْسَانٌ يَقْرَأُ سُورَةَ تَبَارَكَ المَلِك حَتَّى خَتَمَهَا. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ المَانِعَةُ، هِيَ المُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»(١).

ووجه تسميتها تبارك الملك: لافتتاحها بهذا اللفظ القرآني، فاسم السورة مجموع هذين اللفظين على طريقة عد الكلمات في اللفظ دون إضافة إحداهما إلى الأخرى مثل تسمية لام ألف»(٢) .

الرابع : سورة تبارك الذي بيده الملك

وقد سماها النبي ﷺ بهذا الاسم كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثِينَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»(٣)

---

(١) – أخرجه الترمذي في سننه ١٦٤/٥ ، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل سورة الملك، حديث:٢٨٩٠، مطبعة الحلبي – مصر، الطبعة: الثانية، ١٩٧٥م، وقال الترمذي: حديث غريب، وأخرجه البيهقي في الدلائل٧/ ٤١ وقال: تفرد به يحيى بن عمرو النكدي، وهو ضعيف إلا أن لمعناه شاهدا عن عبد الله بن مسعود. دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤٠٥ هـ

(٢) – **ينظر**: تفسير التحرير والتنوير ٥/٢٩، الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ .

(٣) – أخرجه الترمذي في سننه ١٦٤/٥ ، أبواب فضائل القرآن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في فضل سورة الملك، حديث:٢٨٩١، فضائل القرآن للقاسم بن سلام صـ ٢٦٠ ، دار ابن كثير – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٥ م ، وقال الترمذي: حديث حسن.

فهذا تسمية للسورة بأول جملة وقعت فيها فتكون تسمية بجملة[١] .

الخامس : سورة المنجية

وقد سماها النبي ﷺ بهذا الاسم كما في الحديث المتقدم آنفا« هِيَ المَانِعَةُ، هِيَ المُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[٢] .

ووجه تسميتها بالمنجية: لأَنها تنجى قارئها من عذاب القبر ، ونار يوم القيامة [٣] .

السادس : سورة المانعة

ودليل ذلك الحديث السابق هِيَ المَانِعَةُ، هِيَ المُنْجِيَةُ»، وعن عبد الله بن مَسْعُود قَالَ من قَرَأَ﴿ **تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ** ﴾ كل لَيْلَة مَنعه الله بهَا من عَذَاب الْقَبْر، وَكُنَّا فِي عهد رَسُول الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم نسميها الْمَانِعَة»[٤]، وسميت سورة بالمانعة؛ لأَنها تمنع قارئها من عذاب القبر.[٥]

الأسماء الاجتهادية:

السابع : سورة الواقية

ووجه تسميتها : لأنها تقى وتنجي قارئها من عذاب القبر فمن لزمها

---

(١) – **ينظر**: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٥/٢٩.

(٢) – أخرجه الترمذي في سننه ١٦٤/٥ ، أبواب فضائل القرآن ، باب ما جاء في فضل سورة الملك حديث:٢٨٩٠.

(٣) – **ينظر**: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي٤٧٣/١، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ، طبعة: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

(٤) – أخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة صـ٤٣٣ ، حديث:٧١٠، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٢٧/٧ : رجاله ثقات، وقال ابن حجر في نتائج الأفكار ٥١/٥: هذا حديث حسن، دار ابن كثير، الطبعة: الثانية ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .

(٥) – **ينظر**: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٧٣/١ .

نجا مما يخاف ومنع من كل هول ووقي كل مخلوق[١] .

الثامن : سورة المجادلة :

سميت سورة الملك بالمجادلة؛ لأنها تجادل عن قارئها يوم القيامة ؛ أو تجادل الملكين الموكلين بسؤال الإنسان في القبر، فتناظرهما كيلا يؤذيا قارئها[٢] .

فعَنِ ابن عباس رَضِيَ الله عَنْهما. قَالَ لِرَجُلٍ: أَلَا أُتحِفُكَ بِحَدِيثٍ تَفْرَحُ بِهِ؟ قَالَ: بَلَى يَا أَبَا عَبَّاسٍ يَرْحَمُكَ اللَّهُ قَالَ رَضِيَ الله عَنْه: اقْرَأْ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ، فَاحْفَظْهَا، وَعَلِّمْهَا أَهْلَكَ، وَجَمِيعَ وَلَدِكَ وَصِبْيَانَ بَيْتِكَ، وَجِيرَانَكَ، فَإِنَّهَا الْمُنْجِيَةُ، وَهِيَ الْمُجَادِلَةُ. تُجَادِلُ وَتُخَاصِمُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّهَا لِقَارِئِهَا، وَتَطْلُبُ إِلَى رَبِّهَا أَنْ يُنَجِّيَهُ مِنَ النَّارِ إِذَا كَانَتْ فِي جَوْفِهِ، وينجي الله تعالى بِهَا صَاحِبَهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ.[٣] .

التاسع: سورة المنّاعَة

بصيغة المبالغة؛ لأنها تمنع صاحبها من عذاب القبر وعذاب

---

(١) – **ينظر**: تفسير الكشاف للزمخشري ٥٧٤/٤ ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ، تفسير نظم الدرر للبقاعي ٢١٦/٢٠ ، دار الكتاب الإسلامي– القاهرة .

(٢) – **ينظر**: تفسير مفاتيح الغيب للرازي ٥٧٧/٣٠،دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٧٣/١ .

(٣) – أخرجه عبد بن حميد في مسنده صـ ٢٠٦، مكتبة السنة – القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ – ١٩٨٨م، حديث: ٦٠٣، **ينظر**: المطالب العالية لابن حجر ٣٧١/١٥، حديث: ٣٧٦٣، دار الغيث – السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ. تقدم تخريجه في ص ٦. حاشية ٤ .

الآخرة[١].

العاشر، والحادي عشر، و الثاني عشر: سورة الدافعة، و سورة الشافعة، و سورة المخلصة

تفرد بهذه الأسماء الفيروز آبادي، ووجه تسميتها بالدافعة: لأَنها تدفع بلاءَ الدنيا وعذابَ الآخرة من قارئها .

وعلل التسمية بالشافعة : لأَنها تشفع في القيامة لقارئها.

وذكر وجه تسميتها بالمخلصة: لأَنها تخاصم زَبانية جهنم؛ لئلا يكون لهم يدٌ على قارئها[٢] .

❁ **وأشهر هذه الأسماء** الملك؛ لأنه يشمل كل الأسماء المتقدمة، الدالة على كمال القدرة، وجلال العظمة .

ثانيا : نزولها وعدد آيها وكلماتها وحروفها

السّورة مكية ، ونزلت على الرسول ﷺ قبل الهجرة .[٣] .

وعدد آياتها : ثلاثون آية باتفاق جمهور القراء والمفسرين ، وذلك لوروده في السنة كما تقدم في الأحاديث « إِنَّ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ» [٤] .

جاء في البيان في عد آي القرآن وغيره : أن عدد آيات سورة الملك ثلاثون آية في جميع العد سوى المكي وشيبة ونافع ، وإحدى وثلاثون آية

---

(١) – **ينظر**: تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور ٥/٢٩.

(٢) – **ينظر**: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٧٣/١ .

(٣) – ينظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ٢٠٩/١، مركز البحوث والدراسات –جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ .

(٤) – حديث حسن سبق تخريجه في صـ ٦ .

عندهم، للاختلاف في آية: ﴿**قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ**﴾ الملك : ٩ ، [١] وهو مردود؛ لورود الأحاديث النبوي التي تنص على كونها ثلاثين آية، وجاء الحديث السابق بتمام المعني «إِنَّ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً.. وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ».

عدد كلماتها: فهي ثلاثمائة وخمس وثلاثون كلمة.

وعدد حروفها : ألف وثلاثمائة وثلاثة عشر حرفا ،وقيل، ألف وثلاثمائة حرف [٢] .

والاختلاف في عد الحروف يرجع إلى الاختلاف في طريقة العد وتعدد القراءات واعتبار البسملة آية أو لا، والاختلاف في حساب الحرف المشدد حرفين أم حرفا، وعد التنوين حرفا، وحساب الحروف التي لا تنطق كاللام الشمسية ونحوها كألف واو الجماعة .

والاختلاف في عد الكلمات يرجع إلى الاختلاف في عد حروف المعاني المتصلة بالكلمة كلمة أو جزءا منها ، والاختلاف كذا في الضمائر المتصلة .

---

(١) – **ينظر**: البيان في عدّ آي القرآن لأبي عمرو الداني صـ ٢٥١،مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى١٩٩٤م مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي ١٠٢/٣، مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الأولى ١٩٨٧ م، إتحاف فضلاء البشر لابن البناء صـ ٥٥٠، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة ٢٠٠٦م

(٢) – **ينظر**: البيان في عدّ آي القرآن صـ ٢٥١، ،مختصر التبيين لهجاء التنزيل لأبي داود سليمان بن نجاح١٢١٤/٥،مجمع الملك فهد – المدينة المنورة، عام النشر: ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م ، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ٤٧٣/١ ،الفرائد الحسان في عد آى القرآن لعبد الفتاح القاضي صـ ٦٦، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤٠٤ هـ .

ثالثا : فضلها وشرفها

ورد في فضل هذه السورة الكريمة جملة من الأحاديث الكثيرة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

❁ سبب للنجاة من عذاب القبر

فعن ابن عباس قال : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «هِيَ المَانِعَةُ، هِيَ المُنْجِيَةُ، تُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ»[١] .

❁ سبب للإخراج من النار ولدخول الجنة

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ سُورَةً مِنْ كِتَابِ اللَّهِ مَا هِيَ إِلَّا ثَلَاثُونَ آيَةً شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار وَأَدْخَلَتْهُ الْجَنَّةَ، وَهِيَ سُورَةُ تَبَارَكَ» [٢] .

❁ سبب للمغفرة

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ سُورَةً فِي الْقُرْآنِ ثَلَاثِينَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّى غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ»[٣]

رابعا : مقصود السورة

من عرف المراد من اسم السور عرف مقصودها، ومن حقق المقصود منها، عرف تناسب آيها، وقصصها، وجميع أجزائها.

فإن كل سورة لها مقصد واحد، يدار عليه أولها وآخرها، ويستدل عليه فيها، فترتب المقدمات الدالة عليه على أتقن وجه، وأبدع نهج، وإذا كان فيها شيء يحتاج إلى دليل، استدل عليه.

---

(١) – سبق تخريجه صـ ٦ حاشية : ٤ .

(٢) – سبق تخريجه صـ ٦ حاشية : ٣ .

(٣) – سبق تخريجه صـ ٧ حاشية : ٦ .

فإذا وصل الأمر إلى غايته، ختم بما منه كان ابتدأ، ثم انعطف الكلام إليه وعاد النظر عليه، على نهج آخر بديع، ومرقى غير الأول منيع، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية، والدوحة البهيجة الأنيقة الخالية، المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدر، وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكل دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها، وشعبة ملتحمة بما بعدها، وآخر السورة قد واصل أولها، كما لاحم انتهاؤها ما بعدها، وعانق ابتداؤها ما قبلها، فصارت كل سورة دائرةً كبرى، مشتملة على دوائر الآيات الغُرِّ، البديعة النظم، العجيبة الضم، بلين تعاطف أفنانها، وحسن تواصل ثمارها وأغصانها.(١)

وكل معاني سورة الملك تدور حول الخضوع .

فمقصودها الخضوع لله؛ لاتصافه بكمال الملك الدال عليه تمام القدرة، الدال عليه قطعا أحكام المكونات، الدال عليه تمام العلم الدال عليه أحكام المصنوعات علم ما في الصدور لينتج ذلك العلم بتحتم البعث لدينونة العباد على ما هم عليه من الصلاح والعناد كما هي عادة الملوك في دينونة رعاياهم لتكمل الحكمة وتتم النعمة وتظهر سورة الملك، واسمها الملك واضح في ذلك لأن الملك محل الخضوع من كل من يرى الملك، وكذا تبارك؛ لأن من كان كذلك كان له تمام الثبات والبقاء، وكان له من كل شيء كمال الخضوع والاتقاء، وكذا اسمها المانعة والواقية والمنجية؛ لأن الخضوع حامل على لزوم طريق السعادة، ومن لزمها نجا مما يخاف ومنع من كل هول ووقي كل مخلوق، وترد السؤال عمن لازم عليها وهذا من أهم الأمور(٢) .

(١) – **ينظر**: مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي ٩٧/١.

(٢) – **ينظر**: نظم الدرر ٢١٥/٢٠ ، مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقاعي ١٠٣/٣.

المبحث الأول

التذييل

- **ويشتمل على المطالب التالية:**

- ✓ **المطلب الأولى : تعريف التذييل**
- ✓ **المطلب الثاني : أنواع التذييل في القرآن الكريم**
- ✓ **المطلب الثالث: مواضع التذييل في القرآن الكريم**
- ✓ **المطلب الرابع : مكانة التذييل وأهميته**

المطلب الأول : تعريف التذييل

التذييل يؤكد المعنى ويتمه، ويرسم المطلوب بأوجز أسلوب وأعذب مطلوب

فبعض الأعراب سمع قارئا يقرأ ﴿ **وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ** ﴾ المائدة : ٣٨ وختم الآية بقوله: وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ، فاعترضه وخطأه فقال: ما هذا كلام فصيح، فقيل له: ليس التلاوة كذلك وإنما هي ﴿ **وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ﴾ فقال: بخ بخ عز، فحكم، فقطع. فقال للأعرابي: كيف عرفت ذلك؟ فقال: يا هذا: عزّ فحكم فقطع ولو غفر ورحم لما قطع. (١) .

أولا : تعريف التذييل في اللغة :

المتأمل في مادة – ذ ي ل – يجد أنها ترد في اللغة على معان متعددة منها :

أ – **آخر الشيء :** الذيل آخر كل شيء (٢) .

ب البسط: تذيل في كلامه: تبسط فيه على غير احتشام (٣) .

ج – **التتمة:** ذيَّل المؤلِّفُ كتابه : أردفه بكلام كالتتمَّة له، كتب شيئًا في ذيله. (٤) .

---

(١) – **ينظر** : تفسير البحر المحيط لأبي حيان ٦٩/٣ ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، تفسير روح المعاني ٤٠٢/٦ .

(٢) – **ينظر** : لسان العرب لابن منظور ٢٦٠/١١ ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤ هـ، تاج العروس للزبيدي ٢٠/٢٩ ، دار الهداية– مادة : ذيل .

(٣) – **ينظر**: أساس البلاغة للزمخشري ٣٢٣/١ ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى١٩٩٨ م، مادة : ذيل .

(٤) – **ينظر** : معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار عمر وآخرون ٨٣٢/١ ، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م ،مادة : ذيل .

د التبختر: ذالت الجارية وتذيلت: جرَّت ذيلَها على الأرض وتبخترتْ ساحبة ذيلها. [١] .

❁ **ويتبين من خلال المعاني اللغوية** أن التذييل يدل على :

١ – البسط والتمام وفيه من السعة والإغناء .

٢ – التبختر الدال على الجلال والجمال .

ثانيا : تعريف التذييل عند البلاغيين

اختلف البلاغيون حول التذييل فعده قوم كالقزويني والسيوطي قسما من أقسام الإطناب [٢] ، وآخرون كالعسكري والباقلاني لونا من ألوان البديع [٣] ، ومن هنا تباينت الأقوال في تحديد معنى دقيق للتذييل إلا أن

---

(١) – **ينظر** : الصحاح للجوهري ١٧٠٢/٤، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، أساس البلاغة للزمخشري ٣٢٢/١ ، مادة : ذيل .

.

(٢) – **ينظر** : الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني٢٠٥/٣، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة، مختصر المعاني للسعد التفتازاني صـ ١٧٨، دار الفكر – قم، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

ويعرف الاطناب عند البلاغيين: زيادة اللفظ على المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد ، ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحي بن حمزة العلوي /١٢٣،المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .

(٣) – **ينظر** : الصناعتين لأبي هلال العسكري صـ ٣٧٣، المكتبة العصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩ هـ ، إعجاز القرآن للباقلاني صـ ١٠٢، دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م

ويعرف البديع عند البلاغيين: علم تعرف به الوجوه والمزايا التي تكسب الكلام حسنا وقبولا بعد رعاية المطابقة لمتقضى الحال التي يورد فيها ووضوح الدلالة . ينظر : بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدي ٥٧١/٤، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م .

الغاية واحدة وهي تعقيب الجملة بجملة للتوكيد، كما يظهر في التعاريف الآتية:

١ – تعريف **أبي هلال العسكري:** فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويؤكد عند من فهمه ... وينبغي أن يستعمل في المواطن الجامعة، والمواقف الحافلة لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة، والجيد الخاطر. (١).

٢ – تعريف **ابن حجة الحموي:** أن يذيّل الناظم أو الناثر كلاما بعد تمامه وحسن السكوت عليه، بجملة تحقق ما قبلها من الكلام وتزيده توكيدا، وتجرى مجرى المثل بزيادة التحقيق.(٢)

٣ – تعريف **ابن أبي الإصبع:** وهو أن يذيل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام.(٣)

٤ – تعريف **الخطيب القزويني:** تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها للتوكيد.(٤)

---

(١) – **ينظر** : الصناعتين لأبي هلال العسكري صـ ٣٧٣ .

(٢) – ينظر: خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ٢٤٢/١ ، دار الهلال– بيروت، الطبعة: ٢٠٠٤م .

(٣) – ينظر: تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري صـ ٣٨٧، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة .

(٤) – ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني٢٠٥/٣.

ثالثا : تعريف التذييل عند أهل التفسير

تعريف التذييل عند المفسرين لا يخرج عن تعريف البلاغين الذي استقر عليه العمل:

١ – **عند الإمام الزركشي:** أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في معنى الأول تحقيقا لدلالة منطوق الأول أو مفهومه ليكون معه كالدليل ليظهر المعنى عند من لا يفهم ويكمل عند من فهمه.

كقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾ سبأ : ١٧ ثم قال عز من قائل: ﴿ وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ سبأ : ١٧ ،أي هل يجازى ذلك الجزاء الذي يستحقه الكفور إلا الكفور فإن جعلنا الجزاء عاما كان الثاني مفيدا فائدة زائدة. (١).

٢ – **عند السيوطي:** أن يؤتى بجملة عقب جملة والثانية تشتمل على المعنى الأول؛ لتأكيد منطوقه أو مفهومه [٢P] ليظهر المعنى لمن لم يفهمه ويتقرر عند من فهمه نحو: {﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ سبأ : ١٧ (٣) .

٢– **ابن عقيلة المكي:** التذييل : وهو أن يؤتي بجملة عقب جملة مشتملة على معناها لتأكيد مفهومها ومنطوقها، ليظهر لمن لا يفهمه، ويتقرر

(١) – **ينظر:** البرهان في علوم القرآن ٦٨/٣ ، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه –القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .

(٢) – المنطوق : ما دل عليه اللفظ في محل النطق. والمفهوم ما دل عليه اللفظ لا في محل النطق. **ينظر:** الإتقان في علوم القرآن للسيوطي١٤٨٩/٤ ، مجمع الملك فهد– السعودية، الطبعة: الأولى، الزيادة والإحسان في علوم القرآن ١٦٢/٥.

(٣) – **ينظر:** الإتقان في علوم القرآن /١٦٨٠.

عند من يفهمه [١] .

فيلاحظ من التعاريف السابقة أن التذييل:

١ – يكون بجملة وغايته إيصال المعنى لتوكيده وتقريره وتحقيقه .

٢ – يكون في ختام الآية أو في ثناياها بعد تمام المعنى.

٣ – التذييل يفيد فحوى المعنى المتقدم مشتملا عليه، وليس المراد إفادته لنفس معنى الأول بالمطابقة وإلا كان ذلك تكرارا.

رابعا : الفرق بين التذييل والمصطلحات القريبة

أولاً: الفرق بين التذييل والفاصلة :

بعد ما تقدم من تعريف البلاغيين والمفسرين تبين أن التذييل يكون بعد تمام المعنى بخلاف الفاصلة ورؤوس الآي .

وللعلماء في الفاصلة قولان :

الأول : الفاصلة كلمة آخر الآية وهو قول الزركشي والسيوطي وغيرهما

والفواصل: حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها إفهام المعاني، وتقع عند الاستراحة في الخطاب لتحسين الكلام بها، وهي الطريقة التي يباين القرآن بها سائر الكلام وتسمى فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان، وذلك أن آخر الآية قد فصل بينها وبين ما بعدها.." [٢].

وهذا التعريف هو الذي يجري عليه معظم الدارسين فالفاصلة الكلمة التي تختم بها الآية .

وعلى هذا: فالفاصلة لا تأتي إلا آخر الآية بخلاف التذييل يأتي وسط الآية أو آخرها.

والتذييل لا يكون إلا بجملة أما الفاصلة تكون بغيرها على هذا القول.

---

(١) – ينظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن ١٧٠/٦.

(٢) – ينظر: البرهان في علوم القرآن ٥٤/١ ، الإتقان في علوم القرآن ١٧٨٤/٥ .

فالفاصلة قد تكون جزء من التذييل؛ لأنها آخر كلمة فيه ، وقد تكون أعم من التذييل؛ لأنه لا يكون إلا جملة ، فالفاصلة قد تكون غيره، فبينهما عموم وخصوص وجهي .

الثاني : كلمة آخر الجملة وإن لم تكن رأس آية وهو قول أبي عمرو الداني وغيره

فالفاصلة: الكلام المنفصل مما بعده، وقد يكون رأس آية وقد لا يكون، وتقع الفاصلة عند نهاية المقطع الخطابي، سميت بذلك لأن الكلام ينفصل عندها.

وقد فرق الإمام أبو عمرو الداني بين الفواصل ورؤوس الآي، فقال: الفاصلة: الكلام التام المنفصل مما بعده، والكلام التام قد يكون رأس آية، وكذلك الفواصل يكن رؤوس آي وغيرها، فكل رأس آية فاصلة، وليس كل فاصلة رأس آية، فالفاصلة تعم النوعين وتجمع الضربين.." [(١)].

وعلى هذا القول : فالفاصلة جزء من التذييل لأنها آخر كلمة فيه.

ثانياً: الفرق بين التذييل والتتميم :

التتميم: هو أن يأتي في كلام لا يوهم خلاف المقصود بفضلة لنكتة، كالمبالغة، نحو قوله تعالى: ﴿ **وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ** ﴾ الإنسان: ٨ ، أي: ويطعمونه على حبه والاحتياج إليه.." [(٢)].

فالتتميم مباين للتذليل إن كانت الجملة لا محل لها من الإعراب؛ لأن

---

(١) – ينظر: البيان في عد آي القرآن صـ ١٢٦، ، البرهان في علوم القرآن ٥٣/١ ، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان صـ ١٤٥،مكتبة وهبة – القاهرة ، الطبعة : السابعة .

(٢) – ينظر: الصناعتين لأبي هلال العسكري صـ ٣٨٩، التعريفات للجرجاني صـ ٥١، دار الكتب العلمية– بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

الفضلة لا بد أن يكون لها محل من الإعراب ، وإن كانت لها محل من الإعراب كان بينه وبين التذييل عموم وخصوص وجهي لاجتماعهما في الجملة التي لا محل لها، وانفراد التتميم بغير الجملة، وانفراد التذييل بالتي لا محل لها ، وينفرد التتميم بما يكون في أثناء الكلام مما ليس يختم شعرا، ولا يختم كلاما [١].

ثالثاً: الفرق بين التذييل والإيغال :

الإيغال : هو ختم البيت بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها كزيادة المبالغة.

وقيل : هو أن يستوفى معنى الكلام قبل البلوغ إلى مقطعه؛ ثم يأتى بالمقطع فيزيد معنى آخر يزيد به وضوحا وشرحا وتوكيدا وحسنا[٢].

فالتذليل أعم من الإيغال عموما وهما يجتمعان فيما يكون في ختم الكلام لنكتة التأكيد بجملة كما في: ﴿ **ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا**﴾ سبأ : ١٧ الآية، فهذا إيغال من جهة أنه ختم الكلام بما فيه نكتة يتم المعنى بدونها، وتذييل من جهة أنه تعقيب الجملة بأخرى تشتمل على معناها للتأكيد، وينفرد الإيغال فيما يكون بغير جملة وفيما هو لغير التأكيد سواء كان بجملة أم بمفرد

وينفرد التذييل فيما يكون في غير ختم الكلام بجملة كقولك: مدحت زيدًا، وأثنيت عليه بما فيه فأحسن إلي.

فالتذليل يكون في آخر الكلام وغيره بخلاف الإيغال فإنه لا يكون إلا في الآخر، والإيغال يكون بالجملة وبغيرها أما التذليل فلا يكون

---

(١) – ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٢٠٦/٣.

(٢) – **ينظر** : الصناعتين لأبي هلال العسكري صـ ٣٨٠، الإيضاح في علوم البلاغة ٢٠٢/٣ .

إلا بالجملة ، والإيغال يفيد التوكيد وغيره من الأغراض التي يأتي لها، أما التذييل فهو للتوكيد والتقرير خاصة .[1]

والبحث مختص بختام المعنى سواء أكان ختاما للآية أو ثناياها تأكيداً أو تلخيصاً أو تعليلاً .

المطلب الثاني : أنواع التذييل في القرآن الكريم

التذييل ينقسم باعتبارات كما ذكرها العلماء :

أولا : باعتبار الدلالة ينقسم إلى :

١- ما يأتي مؤكدا لمنطوق الجملة الأولى كأن تشترك ألفاظ الجملتين في مادة واحدة، مع اختلاف نسبتهما، بأن تكون أحداهما فعلية والأخرى اسمية مثلا، وليس المراد بهما هنا ما اصطلح عليه الأصوليون، ولذا قال العلامة اليعقوبى: المراد بتأكيد المنطوق هنا أن تشترك ألفاظ الجملتين فى مادة واحدة مع اختلاف النسبة فيهما بأن تكون إحداهما اسمية مؤكدة والأخرى فعلية لا أن يكون لفظ الجملة الأولى نفس لفظ الثانية كما في قوله تعالى ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ التكاثر : ٣-٤ ؛ لأن هذا ليس تذييلا فضلا عن كونه مؤكدا للمنطوق.

كقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ الإسراء : ٨١ فالتذييل بقوله ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ الإسراء : ٨١ مؤكد لمنطوق قوله: ﴿ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ لاشتراك الجملتين في مادة واحدة، واختلافهما بالفعلية والاسمية، فقد أكد المنطوق المتقدم بكل ما تضمنه، وفي

(١) - ينظر: حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ٧٠٩/٢، المكتبة العصرية- بيروت.

هذا اللون يؤتى للتأكيد والتحقيق ، وإنما لم يقل فإن زهوق الباطل المؤكد إشارة إلى أن المنظور له فى التذييل مجرد المعنى لا مع الخواص اللاحقة كالتأكيد؛ ولأن المنطوق للجملة الأولى مجرد زهوق الباطل لخلوها من التأكيد .(١)

وكقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ سبأ : ١٧ ؛ لأن حاصل قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا ﴾ سبأ : ١٧ ، ظاهره وصريحه يدلان على أن الوجه في استحقاقهم لما استحقوه من نزول العذاب، إنما كان من أجل كفرهم لأن قوله: ﴿ بِمَا كَفَرُوا ﴾ تعليل للجزاء من أجل الكفر، فقوله بعده ﴿ وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ سبأ : ١٧ تقرير وتأكيد لما سبق من الجملة الأولى وتحقيق لها، لأنه دال عليها ومحقق لفائدتها.(٢)

٢ – ما يأتي مؤكدا لمفهوم الكل، وهذا اللون أقوى لما فيه من التأمل والتدبر والتفكر .

والمراد بتأكيد المفهوم هنا ألّا تشترك أطراف الجملتين في مادة واحدة مع اتحاد صورة الجملتين في الاسمية والفعلية أولا وذلك بأن تفيد الجملة الأولى معنى، ثم يعبر عنه بجملة أخرى مخالفة للأولى في الألفاظ والمفهوم

كقوله تعالى﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ الأنبياء : ٣٤–٣٥ فلما قال ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ﴾ الأنبياء : ٣٤ذيلها بتذييلين، كل واحد منهما

(١) – ينظر: تحرير التحبير صـ ٣٩٢، الإيضاح في علوم البلاغة ٢١٤/٣ .

(٢) – ينظر: الطراز لأسرار البلاغة ٦١/٣.

محقق لفائدتها ودال على مضمونها، الأول منهما قوله: ﴿ **أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ** ﴾ الأنبياء : ٣٤ تذييل أتى به تأكيدًا لذلك المفهوم المتقدم ، فهذا الاستفهام وارد على جهة الإنكار عليهم في زعمهم الخلود، وأراد أنه لا تتصور أن تكون أنت ميتا، وهم خالدون بعدك فإذا كان لا خلود لك مع ما اختصصت به من المكانة والزلفة عند الله تعالى فهم أحق بالانقطاع والزوال لا محالة، والثانى قوله تعالى: ﴿ **كُلُّ نَفْسٍ ذائِقَةُ الْمَوْتِ**﴾ الأنبياء :٣٥ ، فهذا أيضا توكيد لقوله: ﴿ **وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ** ﴾ الأنبياء : ٣٤ ؛لأن هذا العموم قاطع لكل ظن ويأس عن كل أمر يطمع بالخلود.(١)

ثانيا : باعتبار صورة الورود ينقسم إلى :

١ – تذييل يجري مجرى المثل؛ لشهرته وكثرة دورانه على الألسنة كقوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ الإسراء : ٨١ فقوله ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ تذييل أتى به لتأكيد الجملة قبله، وهو جارٍ مجرى المثل؛ بمعنى أن الجملة الثانية مستقلة بمعناها عن الجملة الأولى، وجارية على الألسنة كما تجري الأمثال التي كثر استعمالها وفشا، فهي لا تحتاج إلى إفادة معناها إلى الجملة السابقة(٢).

وكقوله تعالى: ﴿ وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ يوسف: ٥٣ ، فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ يوسف : ٥٣ تذييل جاء لتأكيد

(١) – ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٢٠٦/٣، الطراز لأسرار البلاغة ٦١/٣، حاشية الدسوقي على مختصر السعد ٧٠٩/٢.

(٢) – ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة ٢٠٦/٣.

ما قبله ، وهو جار مجرى المثل؛ لأنه جملة مستقلة بمعناها لا يتوقف فهمها على فهم ما قبلها.

٢ – ما لم يجرِ مجرى المثل، وهو ما لا يستقل معناه، بل يتوقف على ما قبله، كقوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ سبأ : ١٧ فقوله ﴿ وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ تذييل غير جار مجرى المثل؛ لأن معناه لا يُفهم إلا بما قبله ﴿ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِى إِلَّا الْكَفُورَ﴾ سبأ : ١٦-١٧[1] .

ثالثا : باعتبار الغرض ينقسم إلى :

١ – قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق.

٢ – قسم يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله

ومما جاء من ذلك في الكتاب العزيز متضمناً القسمين معاً قوله تعالى:﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِى سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ التوبة : ١١١ ففي هذه الآية الكريمة تذييلان: أحدهما: قوله تعالى: : ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ التوبة : ١١١، فإن الكلام قد تم قبل ذلك، ثم أتى سبحانه بتلك الجملة لتحقق ما قبلها.

والآخر قوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ التوبة : ١١١، فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر لتحقيق ما تقدمه، فهو تذييل ثان

(١) – ينظر: الزيادة والإحسان في علوم القرآن ١٧٠/٦.

للتذييل الأول .[1]

رابعا : باعتبار التناسب ينقسم إلى :

١ – نوع يكون التذييل فيه واضحا جليا

٢ – نوع التذييل فيه يحتاج إلى تأمل ونظر

فالتذييل يرتبط ارتباطا وثيقا بالتناسب والسياق الكلي المتقدم لا ينفك عنهما ؛ والأول يختص بما سبق من تأكيد المنطوق ، والثاني بالمفهوم .

المطلب الثالث : مواضع التذييل في القرآن الكريم

التذييل بأنواعه المتقدمة وارد في القرآن باعتبارات :

أولا : من حيث الورود :

١ – التذييل ختام الآية وهو الأكثر.

٢ – التذييل بثنايا الآية .

٣ – التذييل بآية مستقلة .

١ – التذييل بختام الآية وهو الأكثر ومن أمثلته :

أ– قوله تعالى: ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ الإسراء : ٨١ فالتذييل بقوله ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ الإسراء : ٨١ ختام آية .

ب – قوله تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ سبأ : ١٧ فالتذييل بقوله ﴿ وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴾ الإسراء : ٨١ ختام آية .

٢ – التذييل بثنايا الآية

أ – قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ

(١) – ينظر: تحرير التحبير صـ ٣٨٧.

الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ التوبة : ١١١ فقوله تعالى: ﴿ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا ﴾ التوبة : ١١١، وقوله سبحانه: ﴿ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ التوبة : ١١١، تذييلان بوسط الآية.

ب – قوله تعالى: ﴿ وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ يوسف : ٥٣ ، فقوله تعالى: ﴿ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ ﴾ يوسف : ٥٣ تذييل بوسط الآية.

٣ –التذييل بآية مستقلة

أ – قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ ص : ٨٦ ، ثم ذيله بما يفيد عموم رسالته بقوله ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴾ ص : ٨٧ .

ب – قوله تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴾ الزخرف : ٢٢ ، ثم ذيله بما يؤكده ويقرره بأن كل رسول كلما جاء قومه يدعوهم إلى عبادة الله ، أعرضوا عنه، وتمسكوا بعبادة ما كان يعبدوا آباؤهم بقوله ﴿ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ ﴾ **الزخرف** : ٢٣ .

وقد اشتملت سورة الملك على كل هذه الأنواع .

ثانيا : من حيث المضمون :

غالب الآيات جاءت مذيلة بأسماء الله الحسنى، والبعض بحكم التشريع، والآخر بالنصح والإرشاد، والتنبيه والتحذير، والترغيب والترهيب مما يجلى لطائف المناسبات ودقائق الصلات .

فهو يثرى التذييل بدلالات لا تحصى من خلال أسماء الله الحسنى،

التي فيها معاني الجلال والجمال، يقرع الأسماع ويخالج النفوس؛ لأنها آخر ما يتناهي إلى القارئ والسامع من الآية.

المطلب الرابع : مكانة التذييل وأهميته

إن التذييل القرآني له قيمته في إتمام المعنى ؛ ففي الكلام له موقع جليل، ومكان شريف خطير لأن الحق يزداد به انشراحا، والمقصد اتضاحا، وله فوائد جمة منها :

❁ **تأكيد المعاني وتوضيحها** ، فإعادة الألفاظ على معنى بعينه، زيادة إيضاح وبيان لمن لم يفهمه، وتأكيد لمن فهمه، وهو حري أن يستعمل في المواطن الجامعة، والمواقف الحافلة؛ لأن تلك المواطن تجمع البطيء الفهم، والبعيد الذهن، والثاقب القريحة، والجيد الخاطر، فإذا تكررت الألفاظ على المعنى الواحد توكد عند الذهن اللقن، وصح للكليل البليد ، وكتب رجل إلى أخ له: أما بعد، فقد أصبح لنا من فضل الله تعالى ما لا نحصيه، ولسنا نستحى من كثرة ما نعصيه، وقد أعيانا شكره، وأعجزنا حمده، فما ندرى ما نشكر: أجميل ما نشر، أم قبيح ما ستر، أم عظيم ما أبلى، أم كثير ما عفا، فاستزد الله من حسن بلائه بشكره على جميع آلائه. فقوله: «فما ندرى ما نشكر» تذييل لقوله «قد أعيانا شكره» .[1]

❁ **إبراز إعجاز القرآن**

القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ونظم آياته؛ فأكثر لطائف القرآن مودعة في

(١) – ينظر: الخصائص لابن جني ٢/٤٩١ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة .

الترتيبات والروابط فهو معجز بترتيبه ونظم آياته.[١]

❁ الرد على مطاعن الأعداء

يظهر التذييل لطائف الاتصال بين آي القرآن وهو أبلغ رد على المدعين بأن آيات القرآن لا يجمعها سياق ، وليس بيها وفاق.

فدائرة المعارف البريطانية، استدلت على أن التذييل : « يعطي للقارئ انطباعا بأنه مجرد إنشاء جاء بطريقة عشوائية، ويؤكد صحة ذلك طريقة ختم هذه الآيات، بآيات مثل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ البقرة : ١٨١ ، ﴿ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة : ٢٨، ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل : ٧٤، وأن هذه الأخيرة لا علاقة لها مع ما قبلها، وإنها وضعت فقط لتتميم السجع والقافية».

وما أشبه هذا القول بمن يدّعي أن النظام في هذا العالم كان على غير حكمة وتقدير، فإنكار ضوء الشمس وسطوعها لا يضيرها، ولو أن الأمر كما قالوا لما وجدت فاصلتان متحدتان ومتجاورتان في كتاب الله، فإذا كانت القضية قضية سجع وختم للكلام بطريقة عشوائية- وجل القرآن عن ذلك- لكان من السهل أن تختم كل آية بما لا يشبه ما ختمت به صاحبتها التي ذكرت معها، وكان من الممكن أن تختم كل واحدة من هذه الآيات بغير ما ختمت به الأخرى، ففي آية البقرة يمكن أن يقال بدل «عليم»: «خبير»، ولكن الأمر ليس كذلك، وإنما هو خاضع لنظام دقيق، للحرف فيه رسالته وغرضه، فما بالك بالكلمة والجملة؟

إن الفاصلة القرآنية جاءت متسقة متناسبة كل التناسب مع معنى الآية وموضوعها وسياقها الذي تتحدث فيه وغرضها الذي جاءت من

(١) - ينظر: مفاتيح الغيب ١٠٦/٧، ١١٠/١٠ .

أجله[١] .

❁ التذييل أحد أساليب التوكيد في القرآن

فقد عده الإمام الزركشي في النوع السادس والأربعين الذي مهد له بقوله : هذا علم شريف المحل عظيم المكان قليل الطلاب ضعيف الأصحاب ليست له عشيرة تحميه ولا ذوو بصيرة تستقصيه وهو أرق من الشعر وأهول من البحر وأعجب من السحر وكيف لا يكون وهو المطلع على أسرار القرآن العظيم الكافل بإبراز إعجاز النظم المبين ما أودع من حسن التأليف وبراعة التركيب وما تضمنه في الحلاوة وجلله في رونق الطلاوة مع سهولة كلمه وجزالتها وعذوبتها وسلاستها ولا فرق بين ما يرجع الحسن إلى اللفظ أو المعنى[٢] .

(١) – ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية لفضل حسن عباس صـ ٨٠، دار الفتح–عمان ، الطبعة : الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م .

(٢) – ينظر: البرهان في علوم القرآن ٣٨٢/٢.

المبحث الثاني

أسرار التذليل في سورة الملك

ويشتمل على المطالب التالية:

- ✓ **المطلب الأول** : سر التذييل بقوله ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾
- ✓ **المطلب الثاني:** سر التذييل بقوله﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾
- ✓ **المطلب الثالث:** سر التذييل بقوله ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾
- ✓ **المطلب الرابع** : سر التذييل بقوله﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾
- ✓ **المطلب الخامس:** سر التذييل بقوله﴿إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾
- ✓ **المطلب السادس** : سر التذييل بقوله﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
- ✓ **المطلب السابع** : سر التذييل بقوله ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾
- ✓ **المطلب الثامن** : سر التذييل بقوله﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾
- ✓ **المطلب التاسع** : سر التذييل بقوله﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

المطلب الأول : سر التذييل بقوله تعالى ﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾

﴿ الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾ الملك : ٢

الآيـة الكريمـة تقيم الأدلـة القاطعـة علـى قدرة الله، لإثبـات عظمتـه ومقدرته على البعث .

مناسبة الآية لما قبلها :

لما ذكر سبحانه في الآية السابقة أن بيده الملك والتصرف في جميع المخلوقات بما يشاء، لا معقب لحكمه، ولا يسأل عن فعله؛ لقهره وحكمته وعدله وقدرته.

شرع بتفصيل بعض أحكام ملكه وآثار قدرته؛ فأخبر بأنه خلق الموت والحياة لينظر من أخلص العمل، فهو ذو العزة الغالب على أمره الغفور لمن أذنب ذنبًا ثم تاب وأناب(١).

جملة التذييل :

قوله تعالى ﴿ **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴾ تذييل يقرر ويؤكد مضمون ما قبله، قصد به أن جميع الأعمال تحت قدرته وتصرفه؛ بما يدل على ذلك من خلق الموت والحياة، وخلق السموات بلا تفاوت وخلق الأرض وجعلها ذلولا وخلق ما فيها من الأرزاق والطير صافات

فالعزيز: ذو العزة الغالب الذي لا يُعجزه شيء، والغفور: الواسع

(١) – ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم لأبي السعود ٢/٩، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تفسير روح المعاني للآلوسي٥/١٥ ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

المغفرة لمن شاء أن يغفر له ويرحمه من عباده [١].

فالملك والقدرة المطلقين لله وحده، فهو سبحانه وحده الذي ينشئ الخلق من العدم، وينفخ فيهم روح الحياة متى شاء، ويميتهم متى يريد، وكل غير قادر على أن يقدم موعد قدومه إلى عالم الأحياء، وغير قادر على أن يؤخر موعد سفره من هذا العالم إلى الوقت الذي يشاء، فهو عاجز كل العجز ، ومقهور كل القهر .

وكونه عزيزا غفورا لا يتم إلا بعد كونه قادرا على كل المقدورات، عالما بكل المعلومات؛ فيجازي المحسن والمسيء بالثواب والعقاب، ويعلم المطيع من العاصي، فلا يقع خطأ في إيصال الحق إلى من يستحقه، ثوابا كان أو عقابا؛ فثبت أن كونه عزيزا غفورا لا يمكن ثبوتها إلا بعد ثبوت القدرة التامة والعلم التام، فلهذا السبب ذكر الله الدليل على ثبوت هاتين الصفتين في هذا المقام[٢] .

ومن ثم جاء التذييل بقوله ﴿ **وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ** ﴾ الملك : ٢ ملائما للمعنى المتقدم ومؤكدا له؛ فالعزيز الغالب الذي لا يعجز عن شيء، ذكره مناسب للجزاء المستفاد من قوله:﴿ **لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا** ﴾ الملك : ٢، وما قبلها أي ليجزيكم جزاء العزيز، وأما الغفور فهو الذي يكرم أولياءه ويصفح عن فلتاتهم فهو مناسب للجزاء على الطاعات وكناية [٣] . عنه [٤] .

---

(١) – ينظر: التفسير المظهري لمحمد ثناء المظهري ١٧/١٠، مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ ، التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ٩/١٥، دار نهضة مصر – القاهرة، الطبعة : الأولى ١٩٩٧م. .

(٢) – ينظر: تفسير مفاتيح الغيب للرازي ٥٨١/٣٠، تفسير المراغي٦/٢٩، مكتبة مصطفى الحلبي – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م .

(٣) – الكناية: لفظ أطلق وأريد به لازم معناه مع قرينة غير مانعة من إرادة المعنى الحقيقي. ينظر: بغية الإيضاح٥٣٨/٣.

(٤) – ينظر: التحرير والتنوير ١٥/٢٩ .

وإيثار التعبير القرآني ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ولم يقل: ليبلوكم أيكم أكثر عملاً؛ لأن العبرة بالإحسان في العمل لا بكثرته، فجاء التعبير على وزن أفعل؛ للمبالغة في الحث على إحسان العمل وإتقانه، وعبارة القرآن في إسناد الحسن إلى الإنسان تدل على أن من كان عمله أحسن كان هو أحسن، ولو أنه أبشع الناس منظراً، ومن كان عمله أسوأ كان بخلاف ذلك

وفي التذييل بالاسمين﴿الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ تخويف وتطميع على ما يدعو إلى ذلك، من الترغيب والترهيب، والخوف والرجاء، لأنه الغالب الذي لا يُعجزه من أساء العمل ولا ييأس منه أهل الزلل.

ولما كان العزيز منا يهلك كل من خالفه إذا علم مخالفته، قال مبيناً إمهاله للعصاة مرغباً للمسيء في التوبة، بعد ترهيبه من الإصرار على الذنوب، لأنه قد يكون مزدرئاً لنفسه قائلاً: إن مثلي لا يصلح للخدمة لما لي من الذنوب القاطعة وأين التراب من رب الأرباب فقرنبـ﴿ الْغَفُورُ ﴾ لإفادة أنه مع ذلك يمحو الذنوب ويتلقى من أقبل إليه أحسن تلق.[1]

وفي التذييل تناسب للسورة الكريمة فمقصد السورة الخضوع الذي لا يكون إلا للعزيز .

من بلاغة التذييل :

١ – التعبير بالجملة الإسمية لإفادة الثبوت واللزوم والدوام والاستمرار فهاتان صفتان ثابتتان لا تنفك عن ذاته .

٢ – قدم العزيز على الغفور؛ لأن العزة دالة على كمال القدرة على الانتقام،

(١) – ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٢٣/٢٠.

ولا يوصف بالمغفرة والرحمة إلا القادر على العقوبة [١] فقدم ما يتمكن في الذهن من تقديم السبب على المسبب.

٣ – التأكيد بقصر المسند على المسند إليه﴿ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴾.

٤ – جاء التذييل بأسلوب من أساليب القصر وهو تعريف الطرفين، فلا عزيز ولا غفور سواه، ولو جاء التعبير بالتنكير عزيز غفور فإنه لا يفيد قصر الصفتين عليه سبحانه بل إثبات الوصفين له، فالتعبير بالقصر في موضعه له قيمته لإفادة قصر الوصفين عليه وكمالهما فيه دون غيره؛ فالحق سبحانه وإن كان عزيزا غالبا منيع الجناب، قاهرا غير مقهور وغالبا غير مغلوب، فإنه كثير المغفرة يصفح عن الذنوب ويغفر الخطايا لمن تاب إليه وأناب .

٥ – التناسب بين الاسمين الجليلين العزيز الغفور فكل منهما يدل على الكمال، العزة المطلقة والمغفرة المطلقة، وأن عزته مقرونة بالمغفرة.

فالمغفرة لا تكون عن عجز عن المؤاخذة، ولا تكون عن ضعف؛ فالإنسان قد يقول: أنا غفرت، أو سامحت فلاناً، يقول هذا؛ لأنه عاجز، فهذا ليس بكمال، لكن حينما تكون المغفرة مع العزة، فهذا هو الكمال.

٦ – عزيز على صيغة فعيل، وهو يدل على المبالغة فأكد قدرته على كل ما يريد بالعزيز على سبيل التأكيد وتنبيهاً على أنه سبحانه لا يغلبه شيء، وقرنه بالغفور على وزن فعول الدال على المبالغة أيضا وهو من معاني العزة فلا يغفر إلا القادر على العقاب؛ لنفي قنوط البعض بأن صفة العزة ربما أخرتهم عن الإقبال والتوبة .

٧ – وصف الغفور مناسب لذكر الموت؛ لأن المغفرة يظهر أثرها بعد

(١) – ينظر: تفسير روح المعاني ٣٦٤/١١ .

البعث الذي يكون بعد الموت وانتهاء الأجل وفيه تحريض على البدار بالتوبة قبل الموت حين يفوت التدارك.

٨ – خُصّ هذان الوصفان بالذكر هنا وإن كان كناية عن جميع الصفات لاستلزامهما ذلك كما أشير إليه؛ لما فيهما من الدلالة على الخوف والرجاء المناسبين للموت وحسن العمل .

٩– في التذييل إشارة إلى عدم اليأس من رحمة الله بل المبادرة للتوبة وحسن العمل.

١٠ – وفي التذييل الترغيب في الترقي إلى معارج العلوم ومدارج الطاعات والزجر عن مباشرة نقائضها ما لا يخفى[١] .

المطلب الثاني : سر التذييل بقوله تعالى ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾

﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ الملك:٣

قوله تعالى﴿ **مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ** ﴾ الملك : ٣ تذييل يقرر مضمون ما قبله، فالله سبحانه وتعالى نفى التفاوت عن جميع ما خلق، وخلق السموات مما خلق، فنفي التفاوت عن جميع الخلق يقرر ويحقق معنى التطابق في خلق السموات .

والبيان القرآني يأمر بالتطلع والتأمل وتدقيق النظر في عالم الوجود وتدبر أسرار الكون؛ الذي يؤدّي إلى الإيمان به سبحانه وتعالى .

فجميع خلقه خال من التفاوت والخلل، والسموات السبع، كل منها فوق الأخرى؛ تدل على عزته وقدرته وعظيم صنعه بأنها محكمة متقنة، ما ترى

(١) – ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم ٣/٩ .

فيهن من تفاوت، أى: من اختلاف واضطراب في الخلقة ولا تناقض، إنما هي مستوية ومستقيمة، والتفاوت: عدم التناسب، كأن بعض الشئ يفوت بعضا ولا يلائمه فيقع الخلل ولكنه متصل بعضه ببعض، فهو يخلق كل شيء صغيرا أو كبيرا بقوله كُنْ لا تفاوت فيه. (١)

وقد جيء بالظاهر: ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ مكان الضمير فلم يقل: ما ترى فيه من تفاوت؛ ليشعر أن جميع المخلوقات جار على هذا النسق، فكل يناسب بعضه لا تفاوت في شيء من ذلك؛ فلا عيب، ولا اعوجاج ولا اضطراب، بل كلها محكمة جارية على مقتضى الحكمة؛ تنبيها على سلامتهن من التفاوت، وبيانا لعظمة خلقهن؛ فأعطى الظاهر من التعميم ما لم يكن يعطيه الإضمار، كما أشعر خصوص اسم الرحمن بما في هذه الأدلة من الرحمة للخلائق لمن رُزْق الاعتبار، فهو خلق الرحمن الذي بباهر قدرته يخلق مثل ذلك الخلق المتناسب (٢) .

فهذه الجملة﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ تذييل لمضمون جملة:﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴾؛ لأن انتفاء التفاوت عما خلقه الله متحقق في خلق السماوات وغيرها، فكانت السماوات طباقاً لأنها من خلق الرحمان، وليس فيما خلق الرحمان من تفاوت، خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلا .(٣)

---

(١) – ينظر: تفسير الكشاف ٥٧٦/٤.

(٢) – ينظر: تفسير غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ١٢٣٠/٢، مؤسسة علوم القرآن – بيروت، تفسير مفاتيح الغيب ٥٨٢/٣٠، البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي٣٤٣/١، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –المغرب، طبعة :١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

(٣) – ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم ٣/٩، التحرير والتنوير ١٧/٢٩ .

وجاء التعبير بقوله تعالى: ﴿**مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ**﴾ دون: ما ترى في السموات السبع من تفاوت؛ للإشعار بأن هذا الخلق البديع، هو ما اقتضته رحمته – تعالى – بعباده، لكي تجري أمورهم على حالة تلائم نظام معيشتهم . . وللتنبيه – أيضا – على أن جميع مخلوقاته تسير على هذا النمط البديع في صنعها وإيجادها ، كما قال – تعالى – : ﴿ **صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ** ﴾ النمل:٨٨ وكما قال – سبحانه – : ﴿ **الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ** ﴾ السجدة: ٧ .[١]

من بلاغة التذييل :

١ – إضافة كلمة الخلق إلى الرحمن فيه إشارة إلى الرحمة الإلهية للناس عامة.

٢ – التعبير بوصف ﴿ **الرَّحْمَنِ** ﴾ دون اسم الجلالة إيماء إلى أن هذا النظام مما اقتضته رحمته بالناس لتجري أمورهم على حالة تلائم نظام عيشهم ، لأنه لو كان فيما خلق الله تفاوت لكان ذلك التفاوت سبباً لاختلال النظام فيتعرض الناس بذلك لأهوال ومشاق ، وأيضاً في ذلك الوصف تحدي للمشركين، والتعبير بدلا من أن يقال: ما ترى في خلق القادر، للإيذان بأنه تعالى خلقها بقدرته رحمة بعباده.

٣ – التعبير جاء بالإظهار في مقام الإضمار للتعميم والتعظيم .

٤ – تنكير ﴿ **تَفَاوُتٍ** ﴾ وهو في سياق النفي وإدخال ﴿ **مِنْ** ﴾ عليه لإفادة العموم .

٥ – التفاوت بوزن التفاعل ليس لحصول فعل من الجانبين ولكنها للمبالغة .

---

(١) – ينظر: التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ١٠/١٥.

٦ – الجناس بين ﴿خَلَقَ﴾، ﴿خَلْقِ﴾ خَلْق في ﴿خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ﴾، ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ فجاء بالفعل الماضي ومصدره لجلال وائتلاف اللفظ والمعنى.

٧ – التأكيد بـ ﴿مِنْ﴾ لتأكيد النفي أي ما ترى فيه شيئا من تفاوت أي اختلاف وعدم تناسب.

٨ – في التذييل التعريض بالمشركين إذ أضاعوا النظر والاستدلال الدال على وحدانية الله تعالى بما تشاهده الأبصار من نظام الكواكب، وذلك مُمكن لكل من يبصر.. (١)

المطلب الثالث : سر التذييل بقوله تعالى ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾

الملك : ٤

مناسبة الآية:

لما سبق الكلام عن إحكام خلق السماء وبَيّن ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ الملك : ٣ ذكر بعده ما يزيد التيقن، فهذا الإحكام ربما لا يدرك بمجرد النظرة الواحدة، فارجع البصر وردد النظر، حتى تتثبت ما من تفاوت في خلق الرحمن، ومع طول النظر يرجع البصر صاغرا ذليلا لم يجد ما يبحث عنه ، وكليل منقطع لم يجد ولم يدرك ما يطلبه.

جملة التذييل:

قوله تعالى﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ

(١) – ينظر: التحرير والتنوير ١٧/٢٩ .

﴿ حَسِيرٌ ﴾ الملك : ٤ تذييل يقرر مضمون ما قبله من كون السماء محكمة متقنة ، وهذه الآية تذييل برأسها .

فالبيان القرآني بعد أن ساق ما يدل على أن خلقه خال من التفاوت والخلل، أمر بتكرير النظر فيما خلق، ولا تكتف بإعادة النظر مرة واحدة، فربما يكون قد فاتك شيء في النظرة الأولى والثانية . . بل أعد النظر مرات ومرات، فتكون النتيجة التي لا مفر لك منها ، أن بصرك بعد طول النظر والتأمل – ينقلب إليك خائبا، وهو كليل متعب؛ لأنه بعد هذا النظر الكثير لم يجد شيئا من الخلل أو الوهن أو التفاوت .(١)

و﴿ كَرَّتَيْنِ ﴾ مثنّى لا يراد به حقيقته، بل التكثير بدليل قوله: ﴿ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ أي: مزدجراً وهو كليل، وهذان الوصفان لا يأتيان بنظرتين، ولا ثلاث، وإنما المعنى كرات، وهذا كقولهم: «لَبَّيْك وسعْدَيْكَ وحنَانَيْكَ، ودَوالَيْك، وهَذَاذَيْكَ» لا يريدون بهذه التثنية تشفيع الواحد، إنما يريدون التكثير أي: إجابة لك بعد أخرى، وإلا تناقض الغرض، والتثنية تفيد التكثير لقرينة كما يفيده أصلها وهو العطف، فإيثار لفظ كرتين في هذه الآية دون مرادفه نحو مرتين وتارتين لأن كلمة كرة لم يغلب إطلاقها على عدد الاثنين، فكان إيثارها في مقام لا يراد فيه اثنين أظهر في أنها مستعملة في مطلق التكرير، دون عدد اثنين أو زوج وهذا من خصائص الإعجاز، ألا ترى أن مقام إرادة عدد الزوج كان مقتضيا تثنية مرة ؛ لأنه أظهر في إرادة العدد إذ لفظ مرة أكثر تداولا ، فإعادة النظر تزيد العلم بانتفاء التفاوت في الخَلق رسوخاً ويقيناً.(٢)

فوجه الأمر بتكرير النظر على أنه قد لا يرى ما يظنه من العيب في

(١) – ينظر: التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ١١/١٥.

(٢) – ينظر: تفسير الدر المصون للسمين الحلبي ٣٧٩/١٠ ، دار القلم– دمشق، تفسير التحرير والتنوير ١٩/٢٩.

النظرة الأولى ولا في الثانية ولهذا قال أولا: ﴿ مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ ﴾ الملك : ٣ ، ثم قال ثانيا ﴿ فَارْجِعِ الْبَصَرَ ﴾ الملك : ٣ ، ثم قال ثالثا: ﴿ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾ الملك : ٤؛ فيكون ذلك أبلغ في إقامة الحجة وأقطع للمعذرة.

وجاء التعبير القرآني ﴿ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ ﴾ مع أن معناه الرجوع ، ولكن لبيان أن الرجوع هو المصير إلى الموضع الذي قد كان فيه قبل والانقلاب المصير إلى نقيض ما كان.

فتكرار النظر يجعل البصر ينقلب ذليلا صاغرا على أن يرى شيئا من العيب ، وقيل : مبعدا مطرودا عن أن يبصر ما التمسه من العيب وقد أعيا من قبل أن يرى في السماء خللا ﴿ وَهُوَ حَسِيرٌ ﴾ الملك : ٤ فعيل بمعنى فاعل من الحسور وهو الإعياء؛ وقد يكون الحسير مفعولا من حسر العين بعد المرئي، فالحاسر: المعيا لانكشاف قواه، ويقال: للمعيا حاسر ومحسور، أما الحاسر فتصورا أنه قد حسر بنفسه قواه، وأما المحسور فتصورا أن التعب قد حسره ؛ وكأنه يُطْرد عن ذلك طردا بالصغار والقماءة، وبالإعياء والكلال ؛ فجمع بين معنيي الطرد والإعياء بلفظ واحد وهو من إعجاز التعبير القرآني حيث جمع المعاني الكثيرة في لفظ واحد.

ولو لم تنطو السورة على غير ما وقع من أوله إلى هنا لكان ذلك أعظم معتبر وأوضح دليل لمن استبصر، إذ هذا الاعتبار بما ذكر من عمومه جار في كل المخلوقات، ولا يستقل بفهم مجاريه إلا آحاد من العقلاء بعد التحريك والتنبيه، فشهادته بنبوة الآتي به قائمة واضحة [١] .

---

(١) – ينظر: تفسير الكشاف ٥٧٦/٤، تفسير مفاتيح الغيب ٥٨٣/٣٠، البرهان في تناسب سور القرآن ٣٤٤/١ ، المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ٢٣٥/١، دار القلم – دمشق الطبعة: الأولى – ١٤١٢ هـ، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ٣٠٩/٥ ، دار الكلم الطيب – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ .

من بلاغة التذييل :

١ – تثنية ﴿ **كَرَّتَيْنِ** ﴾ تفيد التكثير، حيث عبر عن الكثرة بلفظة التثنية، فكثرة المعاودة إلى أن يحسر بصره فلا يعثر على شيء من فطور.

٢ – جاء التعبير ﴿ **كَرَّتَيْنِ** ﴾ ولم يقل : مرتين؛ لأن كلمة مرتين تحصر النظر في مرتين، بينما ﴿ **كَرَّتَيْنِ** ﴾ تفيد التكرار مرة بعد مرة.

٣ – إيثار فعل: ينقلب هنا دون: يرجع، لئلا يلتبس بفعل ارجع المذكور قبله؛ ولإفادة إثبات رجوعه مهما عاود الناظر النظر والبحث عن تفاوت فى خلق الرحمن، فإنه لن يجد شيئا ، ولو أجهده السير، وطال به المطاف.

٤ – التعبير بـ ثم الدالة على التراخي للتحدي بإدامة التكرير على طول الزمان بما أبدعه من هذا السقف الرفيع البديع، على تعاقب الأحقاب وتكرر السنين[١]

٥ – تكرار النظر وإعادته تزيد العلم بانتفاء التفاوت في الخَلق رسوخاً ويقيناً.

٦ – الجناس بين ﴿ **الْبَصَرَ** ﴾ ، ﴿ **الْبَصَرُ** ﴾ لتوكيد المعنى، وجذب أذن السامع .

٧ – تقديم الجار والمجرور ﴿ **يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ** ﴾ للتأكيد والتنبيه .

٨– قصر المسند على المسند عليه﴿**وَهُوَ حَسِيرٌ**﴾ للتأكيد على الإعياء لطول الترديد .

٩ – التعبير بـ ﴿**حَسِيرٌ**﴾ على وزن فعيل بمعنى الفاعل أو المفعول لإفادة

(١) – ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٢٢٩/٢٠.

معنـي الحاسـر الـذي قـد حسـر بنفسـه قـواه، ومعنـى المحسـور الـذي حسره التعب ؛ فجمع بين المعنيين بلفظ واحد.

١٠ – المبالغة في التأكيد على العجز في وجود خلل في الكون بمؤكدات أربع :

أ – إرجاع البصر مع العطف الرتبي المفيد على تكرر السنين .

ب – انقلاب البصر العائد بعد إرجاعه لإثبات إتقان صنعة الوجود.

ج – التعبير بالخسؤ المفيد لمعني التعب والإعياء والطرد والإبعاد .

د – التعبير بالحسير على وزن فعيل لإفادة معني الفاعل والمفعول .

١١ – إظهار البصر في مقام إضماره ﴿ ثُـمَّ ارْجِـعِ الْبَصَرَ ـ ﴾ دون : ثم ارجعه وفي﴿ يَنْقَلِـبْ إِلَيْـكَ الْبَصَرُ ـ ﴾ دون: ينقلب إليك خاسئا ؛ لكمال التقرير في الذهن و لزيادة البيان.[١]

١٢ – التعبير بالجملة الفعلية﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْـكَ الْبَصَرُ ـ خَاسِـــئًا﴾لإفادة تجدد تكرار النظر، وحدوث انقلابه، وبالجملة الاسمية ﴿وَهُـــوَ حَسِـــيرٌ﴾ لإفادة الدوام والثبوت لكلال البصر وصاحبه .

المطلب الرابع : سر التذييل بقوله تعالى ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾

﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ الملك : ١٢

مناسبة الآية:

لما بين الله سبحانه وتعالى وعيد الكفار ومصيرهم بعذاب النار في

(١) – ينظر: حاشية القونوي على تفسير البيضاوي١٨٦/١٩، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠١م.

الآيات السابقة؛ ذكر وعد المؤمنين وجزاءهم بالمغفرة والأجر الكبير، فالسورة تجلي حسن عاقبة المؤمنين، بعد بيان سوء عاقبة الكافرين، و تلفت أنظار الناس إلى نعم الله عليهم[1] .

جملة التذييل :

قوله تعالى﴿ **لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ الملك : ١٢ تذييل يرتبط بمضمون الآية ارتباطا وثيقا فالمغفرة جزاء الخشية وهي من الأجر الكبير ؛ فالأجر الكبير يشمل المغفرة وغيرها من الثواب .

فقد وعد الله أهل الخشية بالمغفرة ؛ بستر ما لهم من أعمال غير مقبولة وإثابتهم الأجر الكبير جزاء عملهم، فالجزاء في الآية يتكون من أمرين :

أحدهما: المغفرة .

والثاني: الأجر الكبير.

أما المغفرة من الغفران، وأصل مادة الغين والفاء والراء غفر، وأصلها: الستر والتغطية؛ لأن الله يستر بحلمه وفضله ذنوب التائبين إليه حتى لا يظهر لها أثر يتضررون به

وبعد مغفرة الذنوب وستر العيوب يكون الأجر الكبير، وهو الثواب الذي بلغ قدرا لا يدرك كنهه إلا الله

وسماه الله تعالى أجرا؛ لأنه استحقاق على عمل صالح، وذلك تكرما من الله وفضلا

فالتذييل يبين ثواب ما سبق؛ فالله جمع لهم بين مطلوبين:

أحدهما: زوال العقاب والخلاص منه ،

(١) – ينظر: نظم الدرر ٢٤٠/٢٠، تفسير مفاتيح الغيب ٥٨٨/٣٠، التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ١٦/١٥.

والثاني: الفوز بالثواب ودخول الجنة، وذلك لما كانت الخشية مشيرة إلى الذنوب، فكان أهم ما إليهم الإراحة منها قال تعالى: ﴿لَهُـمْ مَغْفِـرَةٌ﴾ أي: سترة عظيمة تأتي على جميع ذنوبهم، فكانوا يخشون الوقوع في الذنوب فبشروا بسترها .

ولما كان السرور يتم بالإعطاء من فضل الله قال: ﴿ وَأَجْرٌ كَبِـيرٌ ﴾ يكون لهم بـه من الإكرام ما ينسيهم ما قاسوه في الدنيا من شدائد الآلام، وتصغر في جنبه لذائذ الدنيا العظام.(١)

فالآية تشير إلى مقصود السورة من الخضوع لله والانقياد لـه–عز وجل–، فتشير إلى التأكيد على خشية اللّه بالغيب

فالذين يخشون ربهم يخافونه، فالخشية خوف يشوبه تعظيم. فهي أشد الخوف و أكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه.

ويفرق بين الخوف والخشية :

الخشية تكون من عظم المَخْشِيِّ منه، والخاء والشين والياء في تقاليبها تدل على العظمة، نحو قولنا: شيخ للسيد الكبير. وخيش لما غلظ من اللباس ولهذا وردت الخشية غالبا في حق الله

والخوف يكون من ضعف الخائف وتقاليب (خ و ف) تدل على ذلك وعليه فالفرق بين الخاشي و الخائف قد يكون:

الخائف يعرف أنّه– سبحانه– قاهر شديد البطش و الانتقام، فيتّقي وينهى نفسه عن إساءة الأدب بمقام ربّه تعالى.

وإنّ الخاشي يتّقي عن المعصية أدبا و حياءا.(٢)

---

(١) – ينظر: مقاييس اللغة ٣٨٥/٤، نظم الدرر ٢٤٢/٣٠ ، تفسير السراج للخطيب الشربيني ٣٤٢/٤، مطبعة بولاق– القاهرة، طبعة: ١٢٨٥ هـ .

(٢) – ينظر: المفردات في غريب القرآن ٢٨٣/١ ، الزيادة والإحسان في علوم القرآن ٢٧٩/٣ .

وقوله ﴿ بِالْغَيْبِ﴾ يحتمل معنيين:

أحدهما : بالغيب الذي أخبروا به من الحشر والصراط والميزان والجنة والنار، فآمنوا بذلك ، وخشوا ربهم فيه ، ونحا إلى هذا قتادة .

والمعنى الثاني : أنهم يخشون ربهم إذا غابوا عن أعين الناس، أي في خلواتهم ، ومنه تقول العرب : فلان سالم الغيب ، أي لا يضر ، فالمعنى يعملون بحسب الخشية في صلاتهم وعباداتهم وانفرادهم .

فالاحتمال الأول: مدح بالإخلاص والإيمان، والثاني: مدح بالأعمال الصالحة في الخلوات، وذلك أحرى أن يعملوها علانية[١]

من بلاغة التذييل :

١ – تنكير﴿مَغْفِرَةٌ﴾ و﴿وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ للتعظيم والكمال، فمغفرة عظيمة وجزاء عظيم، وثواب كريم، ونعيم مقيم، لا تحيط بها المدارك البشرية .

٢ – تقديم المسند على المسند إليه في ﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ ﴾ للاهتمام بالمؤمنين الذين يخشون ربهم بالغيب .

٣ – تقديم المغفرة تطميناً لقلوبهم لأنهم يخشون المؤاخذة على ما فرط منهم من الكفر قبل الإسلام ومن اللمم ونحوه، ثم أعقبت بالبشارة بالأجر العظيم، فكان الكلام جارياً على قانون تقديم التخلية على التحْلية، أو تقديم دفع الضر على جلب النفع ، والوصف بالكبير بمعنى العظيم[٢]

٤ – وصف الأجر بالكبير؛ لزيادة الثَّواب والكرامة؛ لما حواه من نعيم

(١) – ينظر: تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ٣٤٠/٥ ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى : ١٤٢٢ هـ.

(٢) – ينظر: تفسير روح المعاني ١٤/١٥، تفسير التحرير والتنوير ٢٩/٢٩ .

سرمدي وأمن من العذاب، ورضا من الله عز وجل، ونظر إلى وجهه الكريم ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ التوبة : ٧٢ [١]

٥ – اختيار التعبير بـ ﴿كَبِيرٌ﴾ بدل عظيم؛ لعله لرعاية الفواصل لأَنه على الراء وتارة تكون على الموازنة. [٢]

٦ – التعبير بالجملة الاسمية﴿ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ لإفادة دوام وثبوت الجزاء لمن تجددت منه الخشية.

٧ – في التذييل إشارة إلى أنه لا يقدر أحد أن يقدر الله حق قدره؛ وهو يفيض بالجود والعطاء على قدر درجاتهم من العمل والخشية .

المطلب الخامس : سر التذييل بقوله تعالى ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾

﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ الملك : ١٣

مناسبة الآية :

بعد أن بين الله وعده للمؤمنين وذكر جزاءهم بالمغفرة والأجر الكبير؛ رجع إلى خطاب الكفار.

وقيل : لما كانت الخشية من الأفعال الباطنة، وكل أحد يدعي أنه يخشى الله ، قال مخوفاً لهم بعلمه، إنه مطلع على الضمائر والسرائر[٣].

جملة التذييل :

التذييل بقوله﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ الملك : ١٣ يتصل

---

(١) – ينظر: تفسير المراغي٩/١٢ .

(٢) – ينظر: حاشية الجمل على الجلالين ٤٠١/٢، الطبعة العامرة الشرفية– مصر ، الطبعة : الأولى ١٣٠٣هـ، تفسير فتح البيان في مقاصد القرآن لصديق خان القِنَّوجي ١٤٨/٦، المَكتبة العصريَّة – بَيروت، عام طبعة: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

(٣) – ينظر: نظم الدرر ٢٤٢/٢٠، تفسير مفاتيح الغيب ٥٨٩/٣٠.

بمضمون الآية ويلائمه، فتساوي السر والجهر تأكيد لعلمه تعالى بمكنونات الصدور؛ فمن علم ضمائر الصدور علم إسرار القول.

فسواء أسررتم كلامكم أو جهرتم به، فهو عليم بما تكنه القلوب وتختلجه الصدور، لا تفاوت في علمه بين خفاء وإعلان وبين إسرار وإجهار، وذلك يبين دقة علمه تعالى مع شموله للنوعين:﴿ **إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ** ﴾ أي: بالغ العلم جداً بضمائر قلوبكم التي في دواخل صدوركم، وما يدور في نياتكم من خفايا وأسرار.

وتقديم السر لأَنه هو الذي اهتموا به إخفاء عنه سبحانه الذي لا يخفى عليه شيء، وللإيذان بافتضاح أمرهم، ووقوع ما يحذرون على كل حال أسروا أو جهروا، ولأن مرتبة السر مقدمة في الوجودعلى مرتبة الجهر؛ إذ لا ظهور إلا بعد خفاء، فما من شيء يجهر به إلا وهو أو مبادئه مضمر في النفس .[1]

وقد جاء التعبير القرآني﴿ **عَلِيمٌ** ﴾ بصيغة المبالغة وهو القويّ علمُه؛ لاستقصاء التعبير عن إحاطة العلم بكل ما تسعه اللغة لمتعارف الناس، لتحصيل تقريب المعنى المقصود؛ لأن المقصود من إخبار المخاطبين تنبيههم عن انتفاء أن يفوت علمَه تعالى شيء.

والتعبير بـ﴿**ذَات**﴾ التي تفيد الصحبة، ﴿**بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ إشارة إلى الأمور المصاحبة للصدور من خواطر، ومن خلجات القلوب وما تخفي السرائر، فالصدور مراد بها النفوس؛ لأن العرب يعبرون عن الحواسّ

(١) – ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم ٦/٩، تفسير روح المعاني ١٥/١٥، تفسير المراغي ١٤/٢٩ .

الباطنية بالصدر؛ فهي لشدة خفائها سميت ذات الصدور [١]؛ للمبالغة من الإحاطة بمضمرات الناس وأسرارهم؛ وذكر هذا العلم الشامل المحيط بكل صغيرة وكبيرة ممن لا تخفى عليه خافية في السماء ولا في الأرض.[٢]

من بلاغة التذييل :

١ – التعبير بـ﴿عَلِيمٌ﴾ بصيغة المبالغة ؛ لاستقصاء التعبير عن إحاطة العلم بكل ما تسعه اللغة الموضوعة لمتعارف الناس.

٢ – التعبير ﴿بِذَاتِ﴾ يفيد المبالغة في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم أو بالقلوب وأحوالها، فاللّه عليم بذات الصدور، أكثر مما يعلمه ذوات الصدور من أنفسهم، فلا يخفى عليه سر من أسرارها فكيف يخفى عليه ما يسرون وما يعلنون، فهي ليست مقحمة كما في ذات غدوة ولا من إضافة المسمى إلى اسمه كما يتوهم.[٣]

٣ – تحلية الصدور بلام الاستغراق ، ووصف الضمائر بصاحبيتها ، فيه من الجزالة ما لا غاية وراءه ، كأنه قيل : إنه مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكمنة في صدورهم ، بحيث لا تكاد تفارقها أصلا، فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به؟

ويجوز أن يراد بذات الصدور، القلوب التي في الصدور ، والمعنى

---

(١) – ينظر: التحرير والتنوير ٣٢٣/١١ .

(٢) – ينظر: نظم الدرر ٢٤٢/٢٠، تفسير الشيخ الشعراوي٦٣٢٠/١٠ ،مطابع أخبار اليوم– القاهرة ١٩٩٧م، تفسير زهرة التفاسير للشيخ أبي زهرة ٣٦٦٥/٧ ، دار الفكر العربي، التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ١٨/١٥.

(٣) – ينظر: تفسير روح المعاني ١٩٨/٦.

إنه عليم بالقلوب وأحوالها، فلا يخفى عليه سر من أسرارها .[1]

٤ – التعبير بالجملة الاسمية ﴿ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ للدوام والاستمرار، للإشارة إلى أنه سبحانه لم يزل عالماً بذلك، وتوكيدها بإن المؤكدة للثبوت على الدوام بلا انقطاع .

٥ – التذييل يفيد الرقابة التي تدعو إلى الانضباط في كل جوانب الحياة؛ لأنه عليم بما تضمره القلوب، وما تخفيه الصدور، وما توسوس به النفوس؛ وسيجازي كل عامل بما عمل .

المطلب السادس : سر التذييل بقوله تعالى ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ الملك : ١٤

مناسبة الآية :

بعد أن بَيَّنَ الله –تعالى– اطلاعه على مكنونات الضمائر والسرائر؛ وكونه عالما بالسر والجهر وبما في الصدور؛ بين دليل الأدلة على إحاطة علمه بجميع الأشياء [2].

جملة التذييل :

التذييلبقوله﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ الملك : ١٤ يؤكد ما ورد بالآية السابقة﴿ وَأَسِرُّوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ الملك: ١٣، ويرتبط بها ارتباطا وثيقا، وهذه الآية تذييل برأسها.

فالآية افتتحت بالاستفهام الإنكاري الذي ينكر على الكفار عدم إحاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر، أي: ألا يعلم السر والجهر من أوجد بموجب حكمته جميع الأشياء التي هم من جملتها، وحاله أنه اللطيف

(١) – ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم ٦/٩، تفسير روح المعاني ١٥/١٥.

(٢) – ينظر: نظم الدرر ٢٤٣/٢٠ .

الخبير، المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن [١].

وقد حذف المفعول للتعميم ، ثم ذكر الفاعل واصفاً له بما يقرب المخبر به للإفهام فقال: ﴿ **مَنْ خَلَقَ** ﴾ والمعنى: ألا يعلم السر ومضمرات القلوب، الله الذي خلق كل شيء وأوجده، و الذي أوجد الخلق وأنشأ القلوب الحاوية للأسرار والأبدان وغير ذلك، وطبع في كل شيء من ذلك ما طبع، مما قدره بعلمه وأتقنه بحكمته، فإن كل صانع أدرى بما صنعه.

ويجوز أن يكون ﴿ **مَـــنْ** ﴾ مفعولاً والفاعل مستتراً، والمعنى : ألا يعلم الله – تعالى – شأن الذين خلقهم، والحال أنه سبحانه هو الذي لطف علمه ودق، إذ هو المدبر لأمور خلقه برفق وحكمة، العليم علما تاما بأسرار النفوس وخبايا ما توسوس به .

فالتذييل بصفتي اللطف والخبر اللتين شأنهما إدراك البواطن إدراكاً لا يكون مثله، فيه تأكيد وتقرير لما سبق؛ لأن الغرض إثبات العلم لما أخفوه لظنهم أنهم إذا أسروا يخفى، لا إثبات مطلق العلم فإنهم لم ينكروه فهو اللطيف الذي يعلم ما بثه في القلوب؛ لأنه يصل إلى الأشياء بأضدادها، فكيف بغير ذلك؟

وهو الخبير بالغ العلم بالظواهر والبواطن، فكيف يخفى عليه شيء من الأشياء؟ وهو أعظم تهديد يكون؛ فإن من علم أن من يعصيه عالم به، وهو قادر عليه، لا يعصيه أبداً .[٢]

واللطيف مأخوذ من الجذر الثلاثي (لطف) فاللام والطاء والفاء: أصل يدل على رفق، ويدل على صغر في الشيء، فاللطف: الرفق في

(١) – ينظر: تفسير الكشاف ٥٨٠/٤، تفسير إرشاد العقل السليم ٧/٩ .

(٢) – ينظر: نظم الدرر ٢٤٣/٢٠ ، التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ١٨/١٥.

العمل، يقال: هو لطيف بعباده، أي رءوف رفيق [١]

ويستحق هذا الاسم من يعلم دقائق المصالح وغوامضها، وما دق منها وما لطف، ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف، فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا لله سبحانه وتعالى؛ فأما إحاطته بالدقائق والخفايا فلا يمكن تفصيل ذلك بل الخفي مكشوف في علمه كالجلي من غير فرق؛ وأما رفقه في الأفعال ولطفه فيها فلا يدخل أيضا تحت الحصر إذ لا يعرف اللطف في الفعل إلا من عرف تفاصيل أفعاله وعرف دقائق الرفق فيها وبقدر اتساع المعرفة فيها تتسع المعرفة لمعنى اسم اللطيف[٢].

والخبير مشتق من الجذر الثلاثي (خبر)، فالخاء والباء والراء أصلان: فالأول العلم، والثاني يدل على لين ورخاوة وغزر.

فالأول الخبر: هو العلم بالشيء، تقول: لي بفلان خبرة وخبر، والله تعالى الخبير، أي العالم بكل شيء؛ والأصل الثاني: الخبراء، وهي الأرض اللينة.[٣]

وهو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم ولكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا

---

(١) – ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢٥٠/٥

(٢) – ينظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي صـ ١٠١ ، طبعة الجفان والجابي – قبرص، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

(٣) – ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢٣٩/٢

الباطنة سمي خبرة ويسمى صاحبها خبيرا[١].

فالتذييل باللطيف يشير إلى علمه عزّ وجلّ بالأسرار الدقيقة للخلق ولطائف الأمور ودقائقها ، والخبير بما يفعله العباد أو يسرّونه ؛ فذيلت بهما الآية لتأكيد مضمونها معرفة الله سبحانه وعلمه بالأسرار الظاهرة والباطنة لجميع ما في الوجود .

وجملة ﴿ **وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** ﴾ الملك : ١٤الأحسن أن تجعل عطفاً على جملة ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ** ﴾ الملك : ١٤ ؛ لتفيد تعليماً للناس بأن علم الله محيط بذوات الكائنات وأحوالها فبعد أن أنكر ظنهم انتفاء علم الله بما يسرون ، أعلمهم أنه يعلم ما هو أعم من ذلك وما هو أخفى من الإسرار من الأحوال ، وقيل : حال من فاعل يعلم مؤكدة للإنكار والنفي أي: ألا يعلم ذلك، والحال أنه تعالى المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن، وقيل: حال من فاعل خلق، ألا يعلم هذا الخفي قولكم المسر به أو ألا يعلم سركم وجهركم من يعلم دقائق الخفايا وجلائلها جملها وتفاصيلها.[٢]

من بلاغة التذييل :

١ – جاء التعبير في قوله ﴿ **أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ** ﴾ بهمزة الاستفهام الداخلة على المنفي؛ للمبالغة في إثبات إحاطة علمه.

٢ – جاء التعبير بالفعل يعلم بصيغة المضارع؛ لبيان أن علمه يحيط بما هو كائن وما سيكون.

---

(١) – ينظر: المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي صـ ١٠٣ .

(٢) – ينظر: تفسير روح المعاني١٥/١٥، تفسير التحرير والتنوير ٣١/٢٩ .

٣ – جاء التعبير باسم الموصول﴿ مَـنْ ﴾ دون الذي؛ لدلالة عموم علمه وشموله وهذه لا يدل عليه اسم الموصول ﴿ الذى ﴾ الذي يفيد التعيين .

٤ – حذف مفعول خلق للتعميم، فعلمه–عز وجل – محيط بكل من خلق .

٥ – التأكيد بقصر المسند على المسند عليهيقول أبو السعود: ﴿ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ حال من فاعل يعلم مؤكدة للإنكار والنفي أي ألا يعلم ذلك والحال أنه المتوصل علمه إلى ما ظهر من خلقه وما بطن [١]

٦ – التعبير بصفتي اللطيف والخبير اللتين شأنهما إدراك البواطن إدراكاً لا يكون مثله للتأكيد والتقرير؛ لأن الغرض إثبات العلم لما أخفوه؛ فجمع بين العلم بدقائق الأشياء و بحقائقها .

٧ – في التذييل معنى المراقبة فالعبد إذا أدرك أن الله معه في السر والعلانية، يعلم ما جل ودق، سعى جاهدا لإصلاح نفسه، والمبالغة في خشيته تعالى .

المطلب السابع : سر التذييل بقوله تعالى ﴿ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾

﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ الملك : ١٥

مناسبة الآية :

لما بين إحاطة علمه بجميع الأشياء في قوله﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ الملك : ١٤ ؛ أقام الدليل على ذلك؛ بأنه هو الذي ذلل لهم الأرض، وأذن لهم بالانتفاع بما فيها من خيرات.

(١) – ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم ٧/٩ .

وقيل : إنه تعالى بين بالدلائل كونه عالما بما يسرون وما يعلنون، ثم ذكر بعده هذه الآية على سبيل التهديد، ونظيره من قال لعبده الذي أساء إلى مولاه في السر: يا فلان أنا أعرف سرك وعلانيتك فاجلس في هذه الدار التي وهبتها منك، كل هذا الخير الذي هيأته لك ولا تأمن تأديبي ، فإني إن شئت جعلت هذه الدار التي هي منزل أمنك ومركز سلامتك منشأ للآفات التي تتحير فيها ومنبعا للمحن التي تهلك بسببها، فكذا هاهنا .

كأنه تعالى قال : أيها الكفار اعلموا أني عالم بسركم وجهركم ، فكونوا خائفين مني محترزين من عقابي ، فهذه الأرض التي تمشون في مناكبها ، وتعتقدون أنها أبعد الأشياء عن الإضرار بكم ، أنا الذي ذللتها إليكم وجعلتها سببا لنفعكم ، فامشوا في مناكبها ، فإنني إن شئت خسفت بكم هذه الأرض ، وأنزلت عليها من السماء أنواع المحن ، فهذا هو الوجه في اتصال هذه الآية بما قبلها[١].

جملة التذييل :

التذييل بقوله﴿ **وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ الملك : ١٥ يرتبط بمضمون الآية ارتباطا وثيقا فالمشي والسعي، وجعل الأرض ذلولا، مطيعة ومسخّرة للإنسان في جميع المجالات، وطلب الرزق من شتى الموارد الأرضية كلّ ذلك وسائل في طريق البعث والنشور.

فلما ضَرب لهم بخلق أنفسهم دليلاً على علمه الدال على وحدانيته شفَّعه بدليل خلق الأرض التي هم عليها، مع المنة بأنه خلقها هيّنة لهم صالحة للسير فيها مخرِجة لأرزاقهم، وذُيّل ذلك بأن النشور منها وأن النشور إليه لا إلى غيره [٢] .

(١) – ينظر: نظم الدرر ٢٠/٢٤٤، تفسير مفاتيح الغيب ٣٠/٥٩١.

(٢) – ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٢٩/٣١.

فالآية في معرض امتنان الله – عز وجل –على عباده بتذليل الأرض لهم، فقدم ﴿لَكُمُ﴾ على مفعولي الجعل مع أن حقه التأخر عنهما لإظهار امتنان الله بعباده من باب الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر؛ فإن ما حقه التقديم إذا أخر لا سيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن(١) .

وقد شبه الأرض بدابة ذلول﴿ هُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا ﴾ وحذف المشبه به وإبقاء خاصية من خواصه على سبيل الاستعارة المكنية(٢) .؛ لأن الذّلول من صفة الحيوان المركوب، يقال: بعير ذلول، وفرس ذلول؛ إذا أمكن من ظهره، وتصرّف على مراد راكبه.

وفُرع على هذه الاستعارة الأمر في ﴿ فَامْشُوا فِى مَنَاكِبِهَا ﴾ فصيغة الأمر مستعملة في معنى الإدامة تذكيراً بما سخّر الله لهم من المشي في الأرض امتناناً بذلك .

وتسمية الأرض ذلولا و جعل ظهورها مناكب لها يستقر عليها ويمشي فيها باعتبار انقيادها لأنواع التصرفات الإنسانية من غير امتناع، وقد وجّه كونها ذلولا ذا مناكب بوجوه مختلفة تؤول جميعها الى ما ذكر، والمعنى: أنه سبحانه جعل الأرض للناس كالمركوب الذلول، ممكنة من الاستقرار عليها، والتصرّف فيها، طائعة غير مانعة، ومذعنة غير مدافعة، وهي صورة توحي

(١) – ينظر: تفسير إرشاد العقل السليم ٧/٩ .

(٢) – الاستعارة المكنية: هي التي لا يصرح فيها بلفظ المشبه به، بل يطوى ويرمز له بلازم من لوازمه ، فلا يصرح بشيء من أركانه سوى لفظ المشبه، ويُدَل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حسا أو عقلا أجري عليه اسم ذلك الأمر. ينظر : بغية الإيضاح : ٥٢٠/٣ .

بالعطاء المتجدد

و في تعدية الفعل ﴿ فَامْشُوا﴾ بحرف الجر في بدلا من على إشارة إلى أن ينفذ الإنسان فى أعماق هذه المناكب، وإلى أن يعمل على كشف أسرارها، لا مجرد اتخاذها طريقا يمشى عليه[١] .

وقد قال الغزالي: جعل الله الأرض ذلولا لعباده ليستقروا في مناكبها، بل ليتخذوها منزلا فيتزودوا منها، متحرزين من مصائدها ومعاطبها، ويتحققون لأن العمر ليسير بهم سير السفينة براكبها، فالناس سفر وأول منازلهم المهد، وآخرها اللحد، والوطن الجنة أو النار، والعمر مسافة السفر، فسنوه مراحله، وشهوره فراسخه، وأيامه أمياله، وأنفاسه خطواته، وإطاعته بضاعته، والأوقات رؤوس أمواله، وشهواته وأغراضه قطاع طريقه، وربحه الفوز بلقاء الله عز وجل في دار السلام، مع الملك الكبير والنعيم المقيم، وخسرانه البغض من الله، مع الأنكال والأغلال، والعذاب الأليم في دركات الجحيم، فالغافل عن نفس واحدة من أنفاسه، حتى ينقضي في غير طاعة تقربه إلى الله زلفى، متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى، ولهذا الخطر العظيم والخطب الهائل، شمر الموفقون عن ساق الجد، ودعوا بالكلية ملاذ النفس، واغتنموا بقايا العمر بالطاعة بحسب تكرر الأوقات[٢].

فكما ترى أن الله سخر الأرض ومنافعها لجميع الناس، ويستخرج منها ما ترى، كذلك النشور له سبحانه إحياء للميت بعد موته وأصله نشر الثوب،

---

(١) – ينظر: تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي ٣٤٠/٢، دار الأضواء – بيروت، المفردات في غريب القرآن ٨٢٢/١، تفسير روح المعاني١٦/١٥، تفسير التحرير والتنوير ٣١/٢٩، التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب١٠٦١/١٥، دار الفكر العربي – القاهرة .

(٢) – ينظر: إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ٣٢٩/١، دار المعرفة – بيروت .

والصحيفة بعد طيهما .[1] .

وتشير الآية إلى معنى آخر دقيق وهو أن السعي إذا كان في الحياة لأغراض الدنيا يؤمن المستقبل الدنيوى؛ فإن السعي للإيمان والعمل الصالح يؤمن المستقبل الأخروي بعد انتهاء رحلة ، تنشر الحياة من جديد .

من بلاغة التذييل :

١ – تعريف ﴿ **النُّشُورُ** ﴾ تعريف الجنس فيعم أي كل نشور ، ومنه نشور المخاطبين فكان قوله : ﴿ **وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ بمنزلة التذييل . [2]

٢ – تقديم الخبر على المبتدأ المجرور في ﴿ **وَإِلَيْهِ النُّشُورُ** ﴾ للاهتمام والاختصاص.

المطلب الثامن : سر التذييل بقوله تعالى ﴿ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ ﴾

﴿ **أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ** ﴾ الملك : ١٩

مناسبة الآية:

لما ذكَّر بمصارع الأولين، وكان التذكير بالحاصب تذكيراً لقريش وتحذيراً لهم إن تمادوا في كفرهم، فقد أهلك الله أصحاب الفيل على قرب الزمان بالطير، والحاصب الذي رمتهم به؛ نبههم على الاعتبار بالطير وما أحكم من خلقها؛ فكان تقريراً لزيادة قدرته، وحسن تدبيره، ولطف تربيته، حيث جبر الطير لضعفها بالطيران ، ليكمل بعموم رحمانيته أمر معاشها تقريراً، لأن بيده الملك، وترهيباً من أن ينازعه أحد في تدبيره

(١) – ينظر: المفردات في غريب القرآن ٨٠٥/١ .

(٢) – ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٣٢/٢٩ .

وقيل: لما خوف الكفار بهذه التخويفات؛ برهن بما يدل على كمال قدرته بمشهد الطير وما فيه من عجائب الخلق .

وقيل: انتقل من دلالة أحوال البشر وعالمهم، إلى دلالة أعجب من أحوال العجماوات كأحوال الطيرِ في نظام حركاتها في حال طيرانها إذ لا تمشي على الأرض كما هو في حركات غيرها على الأرض، فحالها أقوى دلالة على عجيب صنع الله المنفردِ به [(١)].

جملة التذييل :

التذييل بقوله﴿**إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ**﴾ الملك : ١٩ يرتبط بمضمون الآية ارتباطا وثيقا لشمولها الإبداع الذي تجلى فيما تقدم .

فالاستفهام يراد به الإنكار والتوبيخ على مشركي قريش الذين غفلوا آثار قدرته من خلق الموت والحياة، ودقة خلق السموات السبع الطباق، وتزيين السماء بالنجوم؛ فيذكرهم بمشهد الطير الذي يتكرر أمام أعينهم وما فيه من دقة الصنع وعجيب الخلق، فكما ذلل الأرض لأهلها؛ لفت الأنظار إلى تذليل الطير للطيران في جو السماء .

فالآية تنكر عليهم عدم الانتفاع برؤية الطير وتدعو إلى رؤيته بأشكاله المختلفة وصوره المتفرقة، فمنها من يفتح جناحيه عند الطيران وإليه الإشارة بقوله ﴿ **صَافَّاتٍ** ﴾[(٢)] ، ومنها من يضم أجنحته إلى جنبه أحيانا

---

(١) – ينظر: نظم الدرر ٢٥١/٢٠، تفسير مفاتيح الغيب ٥٩١/٣٠، تفسير التحرير والتنوير ٣٧/٢٩ .

(٢) – الصف : هو أن يبسط الطائر جناحيه دون أن يحركهما. وفي طيران الطيور آيات معجزات لم تفهم بعضها إلا بعد تقدم علوم الطيران ونظريات الحركة الهوائية، ولكن أكثر ما يثير العجب هو أن يمضي الطائر في الجو بجناحين ساكنين حتى يغيب عن الأبصار.

=

وإليه الإشارة بقوله ﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ ، فهو سبحانه مبدع الكائنات، ومن هذا خلقه للطير على أشكال وخصائص، وعلى وجه تأتي به جريه في الجو مع قدرته تعالى أن يجريه فيه بدون ذلك، فهو بالغ البصر والعلم بظواهر الأشياء وبواطنها، فمهما أراد كان، يخلق العجائب ويوجد الغرائب[1].

=

وقد كشف العلم أن الطيور الصافة تركب متن التيارات الهوائية المساعدة التي تنشأ إما من اصطدام الهواء بعالق ماء، أو من ارتفاع أعمدة من الهواء الساخن، فإذا ما كانت الريح خفيفة ظلت الأعمدة قائمة وصفت الطيور في أشكال حلزونية، أما إذا اشتدت انقلبت الأعمدة فتصف الطيور في خطوط مستقيمة بعيدة المدى.

وتتحلى الطيور عامة بخصائص منها: خفة الوزن، ومتانة البناء، وعلو كفاءة القلب، ودورة الدم، وجهاز التنفس، ودقة اتزانها، وانسياب أجسامها، وهي خصائص أودعها فيها العليم البصير لتحفظها في الهواء حين تبسط جناحيها أو تقبضهما. إلا أن الطيور الصافة تتميز على سائر الطيور باختصار حجم عضلات صدورها مع قوة الأوتار والأربطة المتصلة بأجنحتها حتى تستطيع بسطها فترات طوال من جهد كبير.

أما الطيور صغار الأحجام التي تعتمد في طيرانها على الدفيف، فإنها تضرب بجناحيها إلى أسفل وإلى الأمام لتوفير الدفع والرفع اللازمين لطيرانها، ثم تقبض أجنحتها ولكنها تظل طائرة بقوة اندفاعها المكتسبة.

وهكذا يتضافر البناء التشريحي والتكوين الهندسي للطيور بكافة أنواعها على طيرانها، وحفظ توازنها، وتوجيه أجسامها في أثناء الطيران. . **ينظر** : المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، لجنة علماء الأزهر بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية١/٨٤٢، طبعة مؤسسة الأهرام – القاهرة ٢٠٠٢ م.

(١) – ينظر: نظم الدرر٢٠/٢٥٣، تفسير إرشاد العقل السليم ٨/٩، تفسير روح المعاني ٢٠/١٥.

فافتتحت الآية بالاستفهام الذي خرج إلى التوبيخ والتعجب من تعجيب حال المخاطب من الطير السابح في الهواء الموحي بتوبيخ الإنسان على غفلته .

ولما كان إمساك الطير في الجو كإمساك الأرض وسائر النجوم ذيل الآية بما يناسب السياق؛ دفعا لِما قد يتوهم أن مشهد الخلق والحفظ مختص بالطير دون ما خلق فجاء التعبير ﴿ **إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ** ﴾ والمراد من البصير، العالم بالأشياء الدقيقة، فعلمه شامل كل شيء، وهو مستفاد من لفظ كل الذي يفيد العموم [١].

والبصير مشتق من الجذر الثلاثي بصر، فالباء والصاد والراء أصلان: أحدهما العلم بالشيء، يقال: هو بصير به، وأما الأصل الآخر: فَبَصَر الشيء غِلَظه، ومنه البصر، هو أن يضم أديم إلى أديم، يخاطان كما تخاط حاشية الثوب.[٢]

والبصير : هو الذي يشاهد ويرى حتى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وإبصاره أيضا منزه عن أن يكون بحدقة وأجفان ومقدس عن أن يرجع إلى انطباع الصور والألوان في ذاته كما ينطبع في حدقة الإنسان فإن ذلك من التغير والتأثر المقتضي للحدثان وإذا نزه عن ذلك كان البصر في حقه عبارة عن الصفة التي ينكشف بها كمال نعوت المبصرات وذلك أوضح وأجلى مما يفهم من إدراك البصر القاصر على ظواهر المرئيات[٣].

وجاء التعبير بالالتفات إلى الغيبة ﴿ **يَرَوْا** ﴾ يشعر بتغيبهم مواضع الاستدلال على قدرة الله الداعية إلى الإيمان به ؛ فلما غيبوا نظرهم جاء

(١) – ينظر: تفسير مفاتيح الغيب ٥٩٣/٣٠ .

(٢) – ينظر: معجم مقاييس اللغة ٢٥٣/١ .

(٣) – ينظر: المقصد الأسنى صـ ٩١

التعبير بما يناسبه بالغيبة.

وأوثر التعبير بالرؤية دون النظر ؛ لتنزيلهم منزلة من لم ير أحوال الطير المختلفة؛ مبالغة في الغفلة؛ فنزلوا منزلة من لم ير هاته الأحوال في الطير لأنهم لم يعتبروا بها ولم يهتدوا إلى دلالتها على انفراد خالقها بالإلهية[1] ، وعليه الرؤية بصرية في الآية ولذا عديت بإلى المقتضية معنى التدبر والتفكر والتأمل.

والتعبير بـ ﴿ صَافَّاتٍ ﴾ أتى بصورة صفة و﴿ وَيَقْبِضْنَ ﴾ بصورة فعل المضارع، لأن انفتاح أجنحة الطيور على نمط واحد ،لا يحصل فيه تغيير، بخلاف القبض الذي فيه انفتاح وانقباض الأجنحة فيكون عملا مكرّرا .

«فإن قلت: لِمَ قيل : ويقبضن، ولم يقل: وقابضاتٍ؟

قلت: لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة، لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء ، والأصل في السباحة مدّ الأطراف وبسطها، وأمّا القبض فطارئٌ على البسط للاستظهار به على التحرك، فجيء بما هو طار غير أصل بلفظ الفعل على معنى أنهن صافّاتٍ، ويكون منهن القبض تارة بعد تارةٍ ، كما يكون من السابح » .[2]

وإيثار اسم الرحمان دون الاسم العلَم بخلاف ما في سورة النحل ﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ ﴾ النحل : ٧٩ لعله للوجه الذي ذكرناه آنفاً في خطابهم بطريقة الإطناب من قوله : ﴿ أَوَلَمْ

(١) – ينظر: تفسير التحرير والتنوير ٣٧/٢٩ .

(٢) – ينظر: تفسير الكشاف للزمخشري٥٨١/٤، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ.

﴿ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ ﴾ الملك : ١٩ الآية.

فمن جملة عنادهم إنكارهم اسم الرحمان فلما لم يرعووا عما هم عليه ذكر وصف الرحمان في هذه السورة أربع مرات .[١] ، والقصر بما وإلا ﴿ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ ﴾ فذلك مما اختص الله به سبحانه وحده دون غيره .

من بلاغة التذييل :

١ – التأكيد على إحاطة علمه بمؤكدات ثلاث:

أ – التعبير بـ بكل الدالة على العموم .

ب – التعبير بالجملة الاسمية و التوكيد بإن لإفادة الدوام والاستمرار .

ج – التعبير بالبصير فيعلم الخفي الدقيق، والجلي الواضح علم من يبصره.

٢ – تنكير كلمة بصير للتعظيم.

٣ – تقديم ﴿ بِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ على متعلقه لإفادة القصر والاختصاص دون ما سواه .

٤ – التذييل فيه إيماء إلى أن الذي أمسك الطير عن الهوي المفضي إلى الهلاك هو الذي أهلك الأمم قبل هؤلاء المشركين من أهل مكة فلو لم يشركوا به لأنجاهم من الهلاك كما أنجى الطير من الهوي.[٢]

(١) – ينظر: التحرير والتنوير ٢٩/٤٠ .

(٢) – ينظر: المرجع السابق ٢٩/٤٠ .

المطلب التاسع : سر التذييل بقوله تعالى ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ الملك : ٢٢

مناسبة الآية :

بعد أن أورد الله تعالى البرهان على كمال قدرته، ووبخ المشركين على عبادة الأصنام؛ ضرب مثلًا يبين به الفارق بين حالي المشرك والموحد، جعل فيه المعقول بصورة المحسوس، ليكون أبين للحجة وأوضح لطريق المحجة.

فشبه المعاندين والمغرورين بمن يسير في طرق متعرّجة غير مستوية ، وشبّه المؤمنين بمن يسير في طرق مستوية ومستقيمة لا تعرّجات فيها والاعوجاج، وآثار هذين السبيلين واضح، في حياة الفريقين [1].

جملة التذييل :

التذييل بقوله﴿ **عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ الملك : ٢٢ يقرر ما قبله من مضمون الآية، إذ أن الصراط المستقيم أعلى درجات الاستواء، فالصراط المستقيم يشمل السوي.

فالآية الكريمة افتتحت بالاستفهام لتقرير أن الماشي سويا على صراط مستقيم أهدى، وقد اشتملت الآية على ثلاث استعارات :

﴿ **أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ** ﴾ شبه الكافر في ركوبه ومشيه على الدين الباطل، بمن يمشي في الطريق الذي فيه حفر وارتفاع وانخفاض، فيتعثر ويسقط على وجهه، وكلما تخلص من عثرة وقع في أخرى؛ فهو

(١) – ينظر: نظم الدرر ٢٥٧/٢٠، تفسير مفاتيح الغيب ٥٩٤/٣٠، تفسير التحرير والتنوير ٤٤/٢٩ .

تمثيل لحال المشرك في تقسُّم أمره بين الآلهة طلباً للذي ينفعه منها الشاكّ في انتفاعه بها، بحال السائر قاصداً أرضاً معينة ليست لها طريق جادة فهو يتتبع بنيات الطريق الملتوية وتلتبس عليه ولا يوقن بالطريقة التي تبلُغ إلى مقصده فيبقى حائراً متوسماً يتعرف آثار أقدام الناس وأخفاف الإبل فيعلم بها أن الطريق مسلوكة أو متروكة .

وفي قوله ﴿ **مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ** ﴾ استعارة أخرى بتشبيه حال المتحيّر المتطلب للآثار في الأرض بحال المكب على وجهه في شدة اقترابه من الأرض .

وفي قوله﴿ **أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا** ﴾ تشبيه لحال الذي آمن بربّ واحد الواثق بنصره وتأييده ، بحال الماشي في طريق جادة واضحة لا ينظر إلاّ إلى اتجاه وجهه فهو مستو في سيره .

وقد حصل في الآية إيجاز حذف إذ استغني عن وصف الطريق بالالتواء في التمثيل الأول لدلالة مقابلته بالاستقامة في التمثيل الثاني.

فالتمثيل جرى على تشبيه حال الكافر والمؤمن بحالة مشي إنسان مختلفة وعلى تشبيه الدين بالطريق المسلوكة كما يقتضيه قوله : ﴿ **عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ** ﴾ فلا بد من اعتبار مَشي المكبّ على وجهه مشياً على صراط مُعْوجّ [١].

فالآية تصور حال المشرك بحال السائر قاصداً أرضاً معينة ليست لها طريق جادة فهو يتتبع بنيات الطريق الملتوية المعوجة ، يعثر فيها كلما مشى ويخرّ على وجهه ساقطا.

(١) – تفسير التحرير والتنوير ٢٩/٤٤ .

وترسم حال المؤمن الواثق بنصر ربه وتأييده بحال الماشي في طريق جادة واضحة لا ينظر إلاّ إلى اتجاه وجهه فهو مستو في سيره لا اعوجاج فيه ولا اضطراب، سالم من الخبط والعثار، فالماضي سويا على صراط مستقيم أهدى ، فكذلك المؤمن الذي يمشي على بصيرة على مسلك العقل والنقل ، أهدى من الكافر الذي لا يسمع ولا يعقل [١].

والصراط: هو الطريق المستقيم، والخط المستقيم هو أقرب خط بين نقطتين، فالوصول إليه قريب سهل، وهو أقرب الخطوط للحق.

ووصفه بالاستقامة تأكيد لمعناها، وقد ذيل الله سبحانه الآية الكريمة بهذه الجملة؛ لبيان كمال سلطانه سبحانه وتعالى

وقد قابل بين ﴿ **أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا** ﴾، ﴿ **أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا** ﴾ للجمع بين المعنيين في سياق واحد

ففي هذه الآية تذكير وتنبيه وتخويف وتهويل وتعريف حال هي على خلاف ما هم عليها في الحال.

وذكر الصراط في الذي يمشي سويًّا، ولم يذكره في الذي يمشي مكبًّا، فهو على الإضمار كأنه يقول: أفمن يمشي مكبًّا على غير الصراط أهدى، أمن يمشي سويًّا على صراط مستقيم؟! فيكون هذا تذكيرًا وتنبيهًا وتسفيهًا لأحلامهم؛ لأن الذين آثروا الإيمان وسلكوا طريقه، فإنما سلكوا بالحجج والبراهين، والذين آثروا الكفر آثروه من غير حجة، بل حيرتهم وسفههم هما اللذان دعواهم إلى التزام الكفر والتدين به، ومن آثر الحيرة والعمى على الهدى والرشاد فهو سفيه.[٢]

---

(١) – ينظر: نظم الدرر ٢٥٧/٢٠، التفسير المظهري ٢٧/١٠، تفسير التحرير والتنوير ٤٥/٢٩ .

(٢) – ينظر: تفسير تأويلات أهل السنة للماتريدي ١٢٥/١٠، دار الكتب العلمية – =

من بلاغة التذييل :

١ – التعبير بالجملة الاسمية لإفادة الثبوت واللزوم، وتنكيره للتعظيم .

٢ –أنه عبر بالصراط، وهو في ذاته مستقيم، ووصفه مع ذلك بالاستقامة؛ تأكيدا لحال الماشي سويا على الصراط مستقيم

٣ – التعبير بـ على للدلالة على التمكن من صراط الاستقامة.

٤ – لم يصرح بطريق الكافر، لأَنه مسلكه لا يستحق اسم طريق فإن ما لم يستقم من الأرض لا يكون طريقا، فاكتفي بما في الكب من الدلالة على حال المسلك، فلذلك ذكر المسلك في الثاني دون الأول . [١]

=

بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

(١) – ينظر: تفسير محاسن التأويل ٢٩٤/٩.

الخاتمة وفهرس المصادر والمراجع والموضوعات

الخاتمة

الحمد لله بدءا واختتاما، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث للنبيين خاتما وإماما، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين . أما بعد،

ففي نهاية هذا البحث – الذي أسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم – وبعد هذه الرحلة الماتعة مع أسرار التذييل في محكم التنزيل –سورة الملك أنموذجا، أسطر أهم النتائج التي توصلت إليها :

- ❁ الوصية النبوية بالقراءة اليومية لسورة الملك استحضار للموت والحياة لاستعظام الخشية .
- ❁ مقصد التذييل إيصال المعنى والتأكيد على المراد .
- ❁ إسهام تذييل السورة في تحقيق أغراض ومقاصد سورة الملك .
- ❁ التذييل قد يكون آخر آية وقد يكون في ثناياها وقد يكون آية برأسها، وربما احتوت الآية الواحدة على أكثر من جملة تذييلية.
- ❁ مكانة التذييل القرآني في إتمام المعني ، فقد يأتي التذييل القرآني مؤكداً لما قبله أو مقرراً له أو معللاً له ؛ فيرتبط بما قبله ارتباطا وثيقا .
- ❁ انتقاء الجملة المذيلة للمعنى المتقدم، والتي لو استبدلت بغيرها لما تحقق المعنى المراد، والغرض المقصود.
- ❁ تناسب التذييل للمعاني المتقدمة يؤكد اتساق السابق باللاحق .
- ❁ أكثر أغراض التذييل التأكيد والتحقيق .
- ❁ شمول سورة الملك على أسرار بيانية لأغراض بلاغية مختلفة، لا يصلح غيرها في موضعها .
- ❁ يظهر التذييل الإعجاز القرآني في المبنى والمعنى .
- ❁ التذييل يثري التأمل والتدبر فالنظرة الواحدة غير كافية ولا توقف المتأمل على الأسرار الكامنة .

التوصيات :

أوصي بدراسة أسرار التذييل في سور أخرى وإعداد مشروع رسائل علمية حول دلالات التذييل في القرآن الكريم.

فهرس المصادر والمراجع

إتحاف فضلاء البشر لابن البناء ، دار الكتب العلمية – لبنان، الطبعة: الثالثة ٢٠٠٦م

et7af fdla2 albshr labn albna2 ، dar alktb al3lmya – lbnan ، al6b3a: althaltha 2006m

الإتقان في علوم القرآن للسيوطي، مجمع الملك فهد– السعودية، الطبعة: الأولى .

al et8an fy 3lom al8ran llsyo6y ،mgm3 almlk fhd-als3odya ،al6b3a: alaoly .

إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ، دار المعرفة – بيروت .

e7ya2 3lom aldyn ll emam alghzaly ،dar alm3rfa - byrot .

أساس البلاغة للزمخشري ، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

asas alblagha llzm5shry ،dar alktb al3lmya ،byrot ، al6b3a: alaoly ،1419 h**1998 – .** m

إعجاز القرآن للباقلاني ، دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م

e3gaz al8ran llba8lany ،dar alm3arf – msr ،al6b3a: al5amsa ،1997m

الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني، دار الجيل – بيروت، الطبعة: الثالثة

al eyda7 fy 3lom alblagha ll8zoyny ،dar algyl – byrot ، al6b3a: althaltha

البرهان في تناسب سور القرآن لابن الزبير الغرناطي، وزارة الأوقاف – المغرب، طبعة :١٤١٠ هـ – ١٩٩٠ م .

albrhan fy tnasb sor al8ran labn alzbyr alghrna6y،wzara alao8af -almghrb ،6b3a :1410 h**1990 – .** m .

البرهان في علوم القرآن للزركشي ، دار إحياء الكتب العربية –القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٧٦ هـ – ١٩٥٧ م .

albrhan fy 3lom al8ran llzrkshy ،dar e7ya2 alktb al3rbya -al8ahra ،al6b3a: alaoly ،1376 h**1957 – .** m .

بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة ، طبعة: ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

bsa2r zoy altmyyz fy l6a2f alktab al3zyz llfyroz abady ، almgls ala3ly llsh2on al eslamya – al8ahra ،6b3a: 1416 h**1996 – .** m.

بغية الإيضاح لعبد المتعال الصعيدي ، مكتبة الآداب، الطبعة: السابعة عشر: ١٤٢٦هـ–٢٠٠٥م .

bghya al eyda7 l3bd almt3al als3ydy ،mktba aladab ، al6b3a: alsab3a 3shr: 1426h**2005–.**m .

البيان في عدّ آي القرآن لأبي عمرو الداني ، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ– ١٩٩٤م.

albyan fy 3dّ ay al8ran laby 3mro aldany ،mrkz alm56o6atwaltrath – alkoyt ،al6b3a: alaoly ،1414h **–. 1994**m.

تاج العروس للزبيدي ، دار الهداية.

tag al3ros llzbydy ،dar alhdaya.

تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن لابن أبي الإصبع المصري ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة .

t7ryr alt7byr fy sna3a alsh3rwalnthrwbyan e3gaz al8ran labn aby al esb3 almsry ،almgls ala3ly llsh2on al eslamya – al8ahra .

التعريفات للجرجاني ، دار الكتب العلمية– بيروت ، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

alt3ryfat llgrgany ،dar alktb al3lmya- byrot ،al6b3a: alaoly 1403h**1983–** ـm.

تفسير إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم لأبي السعود ، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

tfsyr ershad al38l alslym ely mzaya alktab alkrym laby als3od ،dar e7ya2 altrath al3rby - byrot.

تفسير البحر المحيط لأبي حيان ، دار الفكر – بيروت ، الطبعة: ١٤٢٠ هـ، تفسير روح المعاني ٤٠٢/٦ .

tfsyr alb7r alm7y6 laby 7yan ،dar alfkr – byrot ،al6b3a: 1420 h ،tfsyr ro7 alm3any 6/402 .

تفسير الدر المصون للسمين الحلبي ، دار القلم– دمشق.

tfsyr aldr almson llsmyn al7lby ،dar al8lm- dmsh8.

تفسير الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ، طبعة دار هجر – القاهرة ١٤٢٤ هـ،

tfsyr aldr almnthor fy altfsyr balmathor llsyo6y ،6b3a dar hgr – al8ahra 1424 h.

تفسير السراج للخطيب الشربيني ، مطبعة بولاق– القاهرة، طبعة: ١٢٨٥ هـ

tfsyr alsrag ll56yb alshrbyny ،m6b3a bola8– al8ahra ، 6b3a: 1285 h. .

تفسير الشيخ الشعراوي ،مطابع أخبار اليوم– القاهرة ١٩٩٧م

tfsyr alshy5 alsh3raoy ،m6ab3 a5bar alyom- al8ahra 1997m

التفسير القرآني للقرآن لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر العربي – القاهرة .

altfsyr al8rany ll8ran l3bd alkrym al56yb ،dar alfkr al3rby – al8ahra .

تفسير الكشاف للزمخشري ، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧ هـ

tfsyr alkshaf llzm5shry ،dar alktab al3rby – byrot ،al6b3a: althaltha - 1407 h.

تفسير المحرر الوجيز لابن عطية ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى : ١٤٢٢ هـ.

tfsyr alm7rr alogyz labn 36ya ،dar alktb al3lmya – byrot ، al6b3a: alaoly : 1422 h..

تفسير المراغي، مكتبة مصطفى الحلبي – مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ – ١٩٤٦ م .

tfsyr almraghy ،mktba ms6fy al7lby - msr ،al6b3a: alaoly ، 1365 h**1946 – .** m .

التفسير المظهري لمحمد ثناء المظهري ، مكتبة الرشدية – الباكستان، الطبعة: ١٤١٢ هـ .

altfsyr almzhry lm7md thna2 almzhry ،mktba alrshdya – albakstan ،al6b3a: 1412 h. .

التفسير الوسيط د/ محمد سيد طنطاوي ، دار نهضة مصر – القاهرة، الطبعة : الأولى ١٩٩٧م.

altfsyr alosy6 d/ m7md syd 6n6aoy ،dar nhda msr – al8ahra ،al6b3a : alaoly 1997m.

تفسير أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

tfsyr anoar altnzylwasrar altaoyl llbydaoy ،dar e7ya2 altrath al3rby – byrot ،al6b3a: alaoly - 1418 h..

تفسير تـأويلات أهـل السـنة للماتريـدي ١، دار الكتـب العلميـة – بيـروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م .

tfsyr taoylat ahl alsna llmatrydy 1 ،dar alktb al3lmya - byrot ، al6b3a: alaoly ،1426 h**2005 – .** m .

تفسـير روح المعـاني للآلوسـي، دار الكتـب العلميـة – بيـروت، الطبعـة: الأولى، ١٤١٥ هـ .

tfsyr ro7 alm3any llalosy ،dar alktb al3lmya – byrot ،al6b3a: alaoly ،1415 h**.** .

تفسير زهرة التفاسير للشيخ أبي زهرة ، دار الفكر العربي

tfsyr zhra altfasyr llshy5 aby zhra ،dar alfkr al3rby

تفسير غرائب التفسير وعجائب التأويل للكرماني ، مؤسسة علوم القرآن – بيروت

tfsyr ghra2b altfsyrw3ga2b altaoyl llkrmany ،m2ssa 3lom al8ran – byrot

تفسـير فـتح البيـان فـي مقاصـد القـرآن لصـديق خـان القِنَّـوجي ، المَكتبـة العصريَّة – بَيروت، عام طبعة: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م .

tfsyr ft7 albyan fy m8asd al8ran lsdy8 5an al8ِnَّogy ،almَktba al3sryَّa – bَyrot ،3am 6b3a: 1412 h**1992 – .** m .

تفسير مفاتيح الغيب للرازي، دار إحياء التراث العربـي – بيروت، الطبعـة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ.

tfsyr mfaty7 alghyb llrazy ،dar e7ya2 altrath al3rby – byrot ،al6b3a: althaltha - 1420 h**.**

تفسير نظم الدرر للبقاعي ، دار الكتاب الإسلامي– القاهرة .

tfsyr nzm aldrr llb8a3y ،dar alktab al eslamy- al8ahra .

تلخيص البيان فى مجازات القرآن للشريف الرضي ، دار الأضواء – بيروت

tl5ys albyan fy mgazat al8ran llshryf alrdy ،dar aladoa2 – byrot

حاشية الجمل على الجلالين ، الطبعة العامرة الشرفية– مصر ، الطبعة : الأولى ١٣٠٣هـ

7ashya algml 3la alglalyn ،al6b3a al3amra alshrfya- msr ، al6b3a : alaoly 1303h.

حاشية الدسوقي على مختصر المعاني لسعد الدين التفتازاني ، المكتبة العصرية– بيروت.

7ashya aldso8y 3la m5tsr alm3any ls3d aldyn altftazany ، almktba al3srya- byrot.

حاشية القونوي على تفسير البيضاوي، دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى ٢٠٠١م.

7ashya al8onoy 3la tfsyr albydaoy ،dar alktb al3lmya- byrot ، al6b3a: alaoly 2001m.

خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي ، دار الهلال–بيروت، الطبعة: ٢٠٠٤م .

5zana aladbwghaya alarb labn 7ga al7moy ،dar alhlal-byrot ،al6b3a: 2004m .

الخصائص لابن جني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: الرابعة .

al5sa2s labn gny ،alhy2a almsrya al3ama llktab ،al6b3a: alrab3a .

دلائل النبوة للبيهقي دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى–١٤٠٥هـ

dla2l alnboa llbyh8y dar alktb al3lmya – byrot ،al6b3a: alaoly - 1405 h.

الزيادة والإحسان في علوم القرآن لابن عقيلة المكي ، مركز البحوث والدراسات –جامعة الشارقة الإمارات، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ .

alzyadawal e7san fy 3lom al8ran labn 38yla almky ،mrkz alb7othwaldrasat -gam3a alshar8a al emarat ،al6b3a: alaoly ،1427 h. .

سنن الترمذي ، مطبعة مصطفى الحلبي– مصر، الطبعة: الثانية،١٣٩٥ هـ – ١٩٧٥ م .

snn altrmzy ،m6b3a ms6fy al7lby – msr ،al6b3a: althanya ،1395 h**1975 – .** m .

الصحاح للجوهري ، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م

als7a7 llgohry ،dar al3lm llmlayyn – byrot ،al6b3a: alrab3a 1407 h**1987 – .** m

الصناعتين لأبي هلال العسكري ، المكتبة العصرية – بيروت، عام النشر: ١٤١٩ هـ

alsna3tyn laby hlal al3skry ،almktba al3srya – byrot ،3am alnshr: 1419 h**.**

الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز ليحي بن حمزة العلوي ، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ .

al6raz lasrar alblaghaw3lom 78a28 al e3gaz ly7y bn 7mza al3loy ،almktba al3srya – byrot ،al6b3a: alaoly ،1423 h**.** .

عمل اليوم والليلة للنسائي ، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ هـ .

3ml alyomwallyla llnsa2y ،m2ssa alrsala – byrot ،al6b3a: althanya ،1406 h**.** .

فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير للشوكاني ، دار الكلم الطيب – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٤ هـ .

ft7 al8dyr algam3 byn fny alroayawaldraya mn 3lm altfsyr llshokany ،dar alklm al6yb – byrot ،al6b3a: alaoly - 1414 h**.** .

الفرائد الحسان في عد آى القرآن لعبد الفتاح القاضي ، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، الطبعة: الأولى ١٤٠٤ هـ .

alfra2d al7san fy 3d ay al8ran l3bd alfta7 al8ady ،mktba aldar balmdyna almnora ،al6b3a: alaoly 1404 h.

فضائل القرآن للقاسم بن سلام ، دار ابن كثير – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ –١٩٩٥ م .

fda2l al8ran ll8asm bn slam ،dar abn kthyr – byrot ، al6b3a: alaoly ،1415 h**1995–** .m .

قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية لفضل حسن عباس، دار الفتح– عمان، الطبعة : الأولى ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م .

8daya 8ranya fy almoso3a albry6anya lfdl 7sn 3bas ،dar alft7-3man ،al6b3a : alaoly 1421h**2000** ،m .

لسان العرب لابن منظور ، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة ١٤١٤ هـ

lsan al3rb labn mnzor ،dar sadr – byrot ،al6b3a: althaltha 1414 h.

مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ،مكتبة وهبة – القاهرة ، الطبعة : السابعة .

mba7th fy 3lom al8ran lmna3 al86an ،mktbawhba – al8ahra ،al6b3a : alsab3a .

مجمع الزوائد للهيثمي، مكتبة القدسي، القاهرة، طبعة ١٤١٤ هـ،١٩٩٤ م

mgm3 alzoa2d llhythmy ،mktba al8dsy ،al8ahra ،6b3a 1414 h**1994** ،m .

محاسن التأويل للقاسمي دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

m7asn altaoyl ll8asmy dar alktb al3lmyh – byrot ،al6b3a: alaoly - 1418 h.

مختصر التبيين لهجاء التنزيل لأبي داود سليمان بن نجاح، مجمع الملك فهد – المدينة المنورة، عام النشر: ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م

m5tsr altbyyn lhga2 altnzyl laby daod slyman bn nga7 ، mgm3 almlk fhd - almdyna almnora ،3am alnshr: 1423 h**2002 – .** m

مختصر المعاني للسعد التفتازاني ، دار الفكر – قم، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ.

m5tsr alm3any lls3d altftazany ،dar alfkr – 8m ،al6b3a: alaoly ،1411 h.

مستدرك الحاكم ، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ – ١٩٩٠م

mstdrk al7akm ،dar alktb al3lmya – byrot ،al6b3a: alaoly ، 1411 - 1990m

مسند عبد بن حميد ، مكتبة السنة – القاهرة، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ – ١٩٨٨م،.

msnd 3bd bn 7myd ،mktba alsna – al8ahra ،al6b3a: alaoly 1408 - 1988m،.

المطالب العالية لابن حجر ، دار الغيث – السعودية، الطبعة: الأولى ١٤١٩هـ.

alm6alb al3alya labn 7gr ،dar alghyth – als3odya ،al6b3a: alaoly 1419h.

المعجم الأوسط للطبراني ، دار الحرمين – القاهرة،

alm3gm alaos6 ll6brany ،dar al7rmyn – al8ahra،

المعجم الكبير للطبراني ، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، الطبعة: الثانية ،

alm3gm alkbyr ll6brany ،mktba abn tymya – al8ahra ، al6b3a: althanya ،

معجم اللغة العربية المعاصرة د/ أحمد مختار عمر وآخرون ، عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

m3gm allgha al3rbya alm3asra d/ a7md m5tar 3mrwa5ron ،3alm alktb ،al6b3a: alaoly ،1429 h - **2008** m .

المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ، دار القلم - دمشق الطبعة: الأولى - ١٤١٢ هـ

almfrdat fy ghryb al8ran llraghb alasfhany ،dar al8lm - dmsh8 al6b3a: alaoly - 1412 h.

المقصد الأسنى في شرح معاني أسماء الله الحسنى لأبي حامد الغزالي، طبعة الجفان والجابي - قبرص، الطبعة: الأولى،١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م .

alm8sd alasny fy shr7 m3any asma2 allh al7sny laby 7amd alghzaly ،6b3a algfanwalgaby – 8brs ،al6b3a: alaoly ،1407 h**1987** - m .

المنتخب في تفسير القرآن الكريم ، لجنة علماء الأزهر بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية، طبعة مؤسسة الأهرام - القاهرة ٢٠٠٢ م.

almnt5b fy tfsyr al8ran alkrym ،lgna 3lma2 alazhr balmgls ala3ly llsh2on al eslamya ،6b3a m2ssa alahram – al8ahra 2002 m.

نتائج الأفكار لابن حجر، دار ابن كثير، الطبعة: الثانية ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

nta2g alafkar labn 7gr ،dar abn kthyr ،al6b3a: althanya 1429 h**2008** - m .

نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعي ، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

nzm aldrr fy tnasb alayatwalsor llb8a3y ،dar alktab al eslamy- al8ahra.